

حقوق الإنسان

وواجباته

في القرآن

حسن أحمد عابدين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾

صدق الله العظيم

اهداء

« إلى أصحاب الحقوق علي ..
هذا من بعض حقكم »

الفهرس

| الموضوع | صفحة |
|---|------|
| اهداء | ٧ |
| المقدمة | ٩ |
| الفصل الأول : حقوق الانسان عبر العصور | ١٥ |
| الفصل الثاني : أوجه القصور في المواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الانسان | ٢٧ |
| الفصل الثالث : الحقوق بين الانسان وربه | ٢٩ |
| الفصل الرابع : الحقوق المتعلقة بالنفس | ٥٩ |
| الفصل الخامس : الحقوق المتعلقة بالمال | ٨١ |
| الفصل السادس : الحقوق الاجتماعية | ١٠٩ |
| الفصل السابع : حقوق الاعتقاد وحكم الارتداد ... | ١٣٥ |
| الفصل الثامن : الآداب العامة والرحمة وحسن الخلق | ١٩٩ |
| الفصل التاسع : الأمر والنهي بما يحفظ الحقوق | ٢٢٩ |
| الفصل العاشر : أثر محاكاة غير المسلمين | |
| في اهدار حقوق الانسان | ٢٤٧ |
| المراجع | ١٦٧ |
| | ٧ |

مقدمة

الحمد لله الذي أقسم بالعصر أن الانسان لفي خسر . والشكر له سبحانه الذي استثنى من ذلك الخسران الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذي عرف الحق وعرفه للمسلمين ، فكان سراجهم الى الجنة .. وبعد فان اهتمامي بموضوع حقوق الانسان وواجباته في الاسلام كان منذ سنوات وكانت البداية عندما أخذ الاحتفال بالاعلان العالمي لحقوق الانسان صفة عالمية ودورية في الوقت الذي تنتهك فيه هذه الحقوق على أيدي بعض المحتفلين بالاعلان عنها والمدعين المحافظة عليها .

ورغم ان كتاباتي في هذا الموضوع ضمن ما نشر بجريدة الندوة ومجلة الفيصل كانت قد أخذت كل ما كان يدور بخلدي في حينه إلا أنني كنت دائما أشعر بالقصور فيما أكتب وأشعر بأن الموضوع له من الجوانب التي يمكن البحث فيها أكبر بكثير مما كتبت وكتب غيري . وفي بداية السنة الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري أصدرت مجلة رابطة العالم الاسلامي عددا خاصا عن حقوق الانسان في الاسلام وكان لي حظ المشاركة في هذا العدد بمقال اختص في تناوله لموضوع حقوق الانسان بالجمع بين الحق والواجب ، وبينت

الاسلامية عن حقوق الانسان بالطبع هذا غير ممكن ، ولكن المقصود هو توضيح أن اسلوب المناظرة بين ما جاءت به القوانين الوضعية وما سبق به الاسلام ، هو أسلوب أقرب الى الدفاع منه الى الدعوة والافصاح . والاسلام لا يحتاج الى من يدافع عنه انما المطلوب هو إزالة الغشاوة عن العيون التي لم ترى ما يحمله الاسلام من خير ورحمة للعالمين .

على هذا النهج أردت أن تكون معالجتي للموضوع . فتصورت حقوق الانسان في الاسلام حقوق متكاملة بين الناس جميعا . فحقوق أي انسان هي واجبات على الآخرين . والانسان في الاسلام تبدأ حقوقه وهو في بطن أمه وقبل أن يظهر على الأرض . فرب العزة سبحانه وتعالى كرم بني آدم بأن جعل له حقوق من أبواب عدله ورحمته وكرمه . وقد أفردنا لما يسر لنا الله معرفته من هذه الحقوق فصلا خاصا . أما الحقوق المقابلة لذلك والتي فرضها الله على الناس وفرض لهم ايضا في نفس الوقت . فقد قسمناها الى أربعة أقسام : القسم الأول تناول الحقوق المتعلقة بالنفس . والقسم الثاني تناول الحقوق المتعلقة بالمال . والقسم الثالث تناول الحقوق الاجتماعية . والقسم الرابع تناول حق التدين أو حرية العقيدة أو الاعتقاد . وقد بحثنا في هذا القسم الأخير موضوع الارتداد عن الدين في الاسلام ، وأوضحنا أن العقوبة على ذلك لا تعني قيда أو اعتداء على حق الانسان وانما هي على العكس عقوبة لحماية الحقوق التي فرضها الله للناس أجمعين . وقد أفردنا لكل قسم من هذه الاقسام فصلا مستقلا .

والاسلام قد وضع اطارا عاما لكل هذه الحقوق . اطار من الآداب العامة والرحمة وحسن الخلق ، لذلك أتبعنا الفصول الأربعة السابقة بفصل عن ذلك .

والاسلام لم يقف عند حد بيان الحقوق وحمايتها والزام المسلمين بها وعقاب من يعتدي عليها . لقد ذهب الاسلام الى أبعد من ذلك بكثير . فأمر بكل ما يؤدي الى المحافظة على حقوق الانسان ، ونهى عن كل ما يمس هذه الحقوق أو يؤدي الى الاعتداء عليها . وقد خصصنا لهذه الأوامر والنواهي فصلا مستقلا .

إن المهمة الأولى للمسلمين الآن ليست في الدعوة فقط الى الأخذ بحقوق الانسان في الاسلام على مستوى عالمي . وإنما المهمة الأولى للمسلمين قبل ذلك هي مواجهة الخطر الداهم على حقوق المسلمين في بلاد المسلمين أنفسهم . هذا الخطر المتمثل في محاكاة المسلمين لغير المسلمين في كثير من الأمور والقضايا والعادات والتقاليد والسلوك الاجتماعي المنحرف بالاضافة الى أخذ المسلمين بالقوانين الوضعية القاصرة . فقد أدت هذه المحاكاة إلى الجور على كثير من الحقوق . وقد أفردنا لهذا الموضوع الهام الفصل الأخير من هذا الكتاب . وكان لابد من فصل عن تطور حقوق الانسان عبر العصور . وفصل عن أوجه القصور في المواثيق الدولية التي تناولت حقوق الانسان . وقد بدأنا الكتاب بالفصلين على التوالي . تلك عشرة كاملة نرجو أن يباركها الله تعالى .

والآن أترك القارئ الكريم مع صفحات هذا الكتاب بعد أن أستحلفه بقيام السموات والأرض اذا ظهر له خطأ أن يرده عني

ويصوب لي قدر طاقته .
والله أسأل المغفرة لي ولكم ولسائر المسلمين ، وأن يجعل
هذا العمل خالصا لوجهه الكريم . وآخر دعوانا أن الحمد لله
رب العالمين .

الفصل الاول

حقوق الانسان عبر العصور

- ١ - المرحلة الفطرية
- ٢ - المرحلة الجاهلية
- ٣ - المرحلة التشريعية
- ٤ - المرحلة العالمية

المفروض أن حقوق الانسان كاملة قد صاحبت الخلق الأول للانسان . ثم هدى الله الانسان الى اكتشافها تدريجيا عبر العصور ، ووفق مشيئة الله المطلقة وحكمته البالغة . فالله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئا عبثا أو لعبا . كما أنه لم يخلق شيئا مبدورا أو ناقصا . ولذلك عندما سؤل موسى عليه السلام عن ربه ﷻ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ^(١) .

ويقو الاستاذ عبدالرحمن حنبكة الميداني في كتابه « الأخلاق الاسلامية وأسسها » : (أما مانح هذه الحقوق فهو الله الخالق تبارك وتعالى . وقد جعل الله في فطر الناس الوجدانية وفي فطرهم الفكرية ما يدركون به هذه الحقوق . اذا كانت هذه الفطر في الأفراد سليمة من العوارض والأمراض وسليمة مما يغش عليها) (وتبيننا لهذه الحقوق أنزل الله في شريعته للناس الأحكام الكفيلة بضمانها . وذلك بما بين في النصوص . وبما وضع معها من دلائل وامارات . وهذه رحمة من الله بعباده حتي لا يضلوا ولا يختلفوا وعن طريق الشرائع الربانية تصحح أخطاء الأفكار إذا هي

(١) سورة طه - آية رقم ٥٠

أخطأت . وتصحح أخطاء الضمائر إذا اختلط عليها الأمر) .
 وإذا تأملنا قصة إبني آدم في القرآن الكريم ، لوجدنا أن حق الحياة هو أول الحقوق التي هدى الله الانسان لاكتشافها ، وقد كان الخير والشر في إبني آدم واضحا ، فأحدهما إحترم حق الحياة رغم تعرضه للموت وقال : ﴿ لئن بسط إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ (١) أما الثاني فاعتدى على حق الحياة وقتل أخيه فأصبح من الخسرين والنادمين . ولكن الله من رحمته بعباده ، بدأ يرشدهم ويعلمهم الحقوق الواحد تلو الآخر حسب مشيئته وتقديره سبحانه . فبعد أن قتل الأخ أخيه أرسل سبحانه وتعالى الغراب ليعلم الانسان كيف يوارى سوء أخيه . فيقول سبحانه : ﴿ فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوء أخيه ﴾ (٢) فتعلم الانسان أن هناك حق لجثة الميت ، وهو أن توارى في التراب . فكان هذا من الحقوق الفطرية التي تعلمها الانسان منذ أن وطأت قدماه الأرض . ثم توالى اكتشافات الانسان لحقوقه وتوالى انتهاكاته لها . لذلك أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل بالرسالات السماوية التي تبين الحقوق وتندّر من يعتدي عليها بالعذاب الأليم .
 ولما كانت رسالة النبي محمد ﷺ هي آخر الرسالات الى ان يرث الله الأرض ومن عليها لذلك جاءت رسالة الاسلام رسالة شاملة كاملة لكل شيء . ومن ذلك شمولها لكافة الحقوق الانسانية

(١) سورة المائدة - آية رقم ٢٨ .

(٢) سورة المائدة - آية رقم ٣١ .

وقد بينت الجزاء المنتظر للمعتدي عليها في الدنيا والآخرة . ورغبت في المحافظة على الحقوق ونفرت من الاعتداء عليها أو المساس بها . وعلى ضوء هذا فان تقسيمنا لمراحل تطور حقوق الانسان . ما هو إلا تقسيم لمراحل تطور اكتشاف الانسان لهذه الحقوق . وتطور اسلوبه في المطالبة بها ، وفي الدفاع عنها . والمحافظة عليها . واعطائها الصفة الشرعية . وحقوق الانسان بدأت فطرية مع خلق الانسان . لذلك يمكن اعتبار أن أول المراحل التي مرت بها حقوق الانسان هي المرحلة الفطرية . ثم بعد ذلك اتسع نطاق الحقوق وتبع ذلك اتساع أكبر في انتهاكها . لذلك اتسمت المرحلة التالية للمرحلة الفطرية بالجاهلية . وبعد أن تطورت الدنيا وظهرت الدول المستقلة والحكومات القوية واتسع نطاق الحقوق أكثر فأكثر . واتسعت قاعدة المنتهكة حقوقهم بشكل أكبر . جاءت مرحلة الجمع والتقنين لهذه الحقوق بصور متباينة . ثم جاءت المرحلة الحالية مع التطور الحضاري والمدنية الحديثة . فبدأت الحقوق تدخل مرحلتها العالمية . وسوف نعطي فكرة موجزة عن كل مرحلة من المراحل الأربعة السابقة . وهي لا تمثل مراحل مستقلة تنتهي احداها تماما لتبدأ الاخرى في عقبها . إنما هي مراحل متداخلة ولكن كل مرحلة لها طابع خاص يميزها .

المرحلة الفطرية :

المرحلة الفطرية هي المرحلة التي بدأت مع الانسان الأول . الذي كان يتصرف ويتفاعل مع كل ما يحيط به بفطرته التي فطره الله

عليها . ولو أن الأمر كان قد ترك للفطرة فقط لما وجدنا إلا كل خير ، فالإنسان مقطور على الخير وحبه للخير شديد . ولكن الشيطان لعنه الله كان لابن آدم بالمرصاد يوسوس له فيخرجه عن فطرته ويزين له الشر .

وكما سبق أن قلنا فإن قصة ابني آدم في القرآن تظهر الكثير من هذه الأمور .

وفي هذه المرحلة الفطرية كانت الحقوق التي اكتشفها الإنسان هي الحقوق الطبيعية . فعرف الإنسان حقه في الحياة وحقه في استنشاق الهواء ، وحقه في المأكل والملبس مما يحيط به من أشجار وثمار وحيوانات . وعرف حقه في الدفاع عن نفسه ضد من يعتدي عليه . ولكنه لم يكن يستطيع أن يحافظ على كل هذه الحقوق إلا إذا كانت لديه القوة الجسدية اللازمة لذلك . ومن هنا وبعد أن توافرت للإنسان هذا العصر القوة اللازمة لصده من يعتدي على حقوقه ، زين له الشيطان نزعة الغرور والاستثثار والتملك وزين له الاعتداء على حقوق الآخرين الذين هم أضعف منه وكانت القوة الجسدية للإنسان وحدها هي الفصيل في المحافظة على الحق أو في إهداره في تلك المرحلة .

المرحلة الجاهلية :

وفي هذه المرحلة اكتشف الإنسان حقوقاً كثيرة أخرى ، فظهر الحق في التملك . فملك المساحة من الأرض التي عاش عليها وملك الحيوانات التي يستأنسها وملك الزوجة والاولاد وملك ما صنعه من

آلات للدفاع عن نفسه أو لاختراج خيرات الأرض أو لصيد الحيوانات ولكن كان الفيصل في المحافظة على هذه الحقوق جميعا أو فقدانها هي أيضا القوة الجسدية ولكنها لم تعد قوة الفرد الواحد وإنما قوة الأسرة مجتمعة .

ومع استمرار سلطان القوة بدأت اعتداءات الاسر القوية على الاسر الضعيفة . فسلبت الأولى حقوق الثانية واخذت خيراتها وأملأكمها وقتلت أهلها . ولما بدأ طغيان الاسر القوية على الاسر الضعيفة بدأت الحاجة الى الترابط بين الأسر الضعيفة ، للدفاع عن حقوقها وانتقل مبدأ الحق للقوة مرة أخرى الى مستوى جديد هو مستوى قوة القبيلة . وتعمقت هذه التزعة القبلية . وبدأت الجاهلية تنفشي في هذا العصر والعصور التي تلتها . ولكن بأشكال وصور مختلفة تخللتها نزعات للإصلاح لكنها لم تكن لتستطيع تحقيق الإصلاح حتي أذن الله تعالى للرسل بهداية الناس وإخراجهم من ظلمات الجهل ودعوتهم لاسلام الوجوه لله واحترام الحقوق وعدم الاعتداء عليها . وبين كل رسالة سماوية والتي تليها كانت الجاهلية هي المسيطرة وهي المتفشية وحكم القوة والسيطرة والطغيان هو السائد .

ويفرق البعض في هذا الصدد بين جاهلتين^(١) . جاهلية أولى اتسمت بالتفكك الى قبائل متعددة . انتشرت بينها عادات سيئة متوارثة مثل العصبية والثأر والسبي والرق والشغار ووأد البنات وبيع

(١) أركان حقوق الإنسان - د . صبحي الحمصاني .

الأولاد وتعدد الزوجات . وجاهلية ثانية قبيل الاسلام خفت فيها حدة القسوة التي سادت في الجاهلية الاولى ، وتلطفت مسائل الثأر باعتماد الديات و اقرار المحاكمات المبنية على التحكيم أو على سلطة رئيس القبيلة . وأصبح حق الدفاع مصنوعا . وأُرسيت قاعدة الأصل براءة الذمة . والمبنية على من ادعى . وندرت حوادث وأد البنات . واحتقر إرث الزوجات .

ولكن على أي الحالات فإن الجاهلية وإن خففت حدة قسوتها في بعض العادات إلا أن ما بقي من عادات كان كافيا لضياع حقوق الانسان في هذه المرحلة على أبشع صورة .

المرحلة التشريعية :

وهذه تعتبر بداية مرحلة التحضر ، حيث ظهرت الدول المستقلة . وواجهت الشعوب حكامها . وطالبت بإزالة الفوارق وتحقيق المساواة ورفع الظلم . وقد بدأ كل مجتمع بتدوين الأعراف والعادات والتقاليد السائدة فيه وصياغتها في قوانين بدائية . ومن أمثلتها قانون حمورابي ملك بابل . وقوانين صولون الاغريقي . وقانون الألواح الاثني عشر الروماني . وقد اتفقت هذه القوانين وغيرها في أنها قوانين وضعية . شابها القصور في كثير من النواحي . وركزت على العقوبات الجسدية لمواجهة الجرائم . ثم أنها في جملتها كانت مهمة بتنظيم الحياة الاجتماعية . وعلاقة الحكام بالمواطنين . أكثر منها إهتماما بحقوق الانسان . ثم ما لبست أن تطورت هذه القوانين مع تطور الدول . وتطور احتياجات المواطنين . وما واجهته

السلطات الحاكمة في كثير من بلدان العالم من ثورات . ولكن كان التطور دائما في ظل اطار العلاقة بين الدولة والمواطنين . ولم يتعد ذلك الى جواهر الحقوق الانسانية المتكاملة للانسان . واقتصر الأمر خلال هذه المرحلة على تأكيد بعض الحقوق السياسية مثل الديمقراطية والحرية والمساواة وبعض الحقوق الاجتماعية مثل حق العمل وحق التملك وحق التقاضي . وقد تأثرت هذه القوانين في جملتها بما واكبها من ديانات وشرائع سماوية .

المرحلة العالمية :

ومع التقدم والتطور البشري . ثم التطور العلمي والعالمي في وسائل المواصلات والاتصال . استمت حقوق الانسان تدريجيا بالعالمية . واتخذ الدفاع عنها أخيرا شكلا جماعيا . وعقدت لذلك المؤتمرات . وتأسست المنظمات الوطنية والاقليمية والعالمية . وصدر عن هذه وتلك الكثير من المواثيق والاعلانات والمعاهدات .

ففي إنجلترا صدرت وثيقة الحقوق عام ١٦٨٩م وذلك بعد قرون من العهد الأكبر الشامل للحريات التي منحها الملك جون للإنجليز عام ١٢١٥ . وفي عام ١٧٨٩ وافقت الجمعية التأسيسية الفرنسية على اعلان حقوق الانسان والمواطن . وفي عام ١٧٩١ صادق الكونجرس الأمريكي على وثيقة الحقوق . وفي ١٩١٨ صدر اعلان الحقوق السوفيتي . وفي عام ١٩٤٨ صدر عن منظمة الأمم المتحدة « الاعلان العالمي لحقوق الانسان » . وكان هذا الاعلان هو من أبرز الوثائق العالمية الحديثة التي صدرت عن حقوق الانسان وقد

جاء فيه أن الجمعية العمومية للأمم المتحدة « تنادي بهذا الاعلان العالمي لحقوق الانسان على أنه المثل الأعلى المشترك الذي يجب أن تصل اليه جميع الشعوب والأمم ». وقال عنه البعض : « ما هذه الوثيقة العالمية في واقع الأمر سوى خلاصة ما تطلعت اليه المدينيات البشرية المختلفة والديانات الكبرى انها مجموعة الحقوق التي يعتقد بضرورة ضمانها المجتمع البشري الحاضر المتمثل بهيئة الأمم المتحدة والذي يؤمن بأنه لا مستقبل للجنس البشري إن لم تصبح حقوق الانسان حقائق يعيشها الناس في كل مكان »^(١).

وفي عام ١٩٥٠ صدر عن المجلس الأوربي الاتفاقية الأوربية لحماية حقوق الانسان . وفي عام ١٩٦١ صدر عن نفس المجلس « الميثاق الاجتماعي الاوربي ». وفي عام ١٩٦٤ أصدر المجلس الاوربي أيضا قانون الضمان الاجتماعي . وفي عام ١٩٦٦ صدر ملحقين للاعلان العالمي لحقوق الانسان والصادر عن الامم المتحدة وفيها تفصيلات أكثر عن الحقوق المختلفة ، الاول ميثاق الحقوق المدنية والسياسية والثاني ميثاق الحقوق الاقتصادية والاجتماعية .

وفي عام ١٩٦٩ صدرت الاتفاقية الامريكية لحقوق الانسان . وعن جامعة الدول العربية صدر في عام ١٩٧٤ م اتفاقية المنظمة العربية لحقوق الانسان .

هذه هي أهم الوثائق التي صدرت تقريبا عن حقوق الانسان من موثيق واعلانات واتفاقات هذا بالاضافة الى المعاهدات المتعلقة

(١) مجلة رابطة العالم الاسلامي - مقال للدكتور عبد الحليم خلدون الكنايني .

بمكافحة الرقيق ، ومكافحة التمييز العنصري ، وحماية الأقليات ومكافحة البغاء ، وتجارة المخدرات . والاتفاقات المتعلقة بوضع اللاجئين ، والحقوق السياسية للمرأة والجنسيات . واتفاقية لاهي ثم جنيف الخاصة بالحروب ومعهادة فيينا المتعلقة بالحصانة الدبلوماسية ، الى آخر هذه المعاهدات وغيرها .

وإن كان هناك من تعليق على كل هذه الوثائق فنقول انها كانت بصفة عامة تهدف الى التعاون الدولي أكثر منها الى حماية حقوق الانسان والدفاع عنها . والدليل على ذلك ما نراه في الواقع فبرغم كل هذه المواثيق والتعهدات وغيرها يزداد يوما بعد يوم الانتهاك الصارخ لحقوق الانسان في كثير من بقاع العالم .

وليس أدل على ذلك مما يحدث لشعب وأرض فلسطين العربية . وعلى مرأى ومسمع من جميع شعوب العالم وزعمائه ومفكره ممن يدافعون عن حقوق الانسان أو يدعون حمايتها . ولكنها المصالح الدولية التي تتغلب حتي على حق الانسان في الحياة على أرضه وكرامته . ولا يهم أن يضرب بكل هذه المواثيق والتعهدات عرض الحائط طالما أن المصالح الدولية محترمة .

وليست فلسطين هي الضحية الوحيدة - رغم أنها المثل الصارخ والدائم والمخزن - فهناك اخواننا في افغانستان يتعرضون للغزو الشيوعي السوفيتي وويلاته . وكلنا نعلم أن الشيوعية قد أصبح همها على قلب العالم ثقيل وثقيل . فالمضطهدين من قبل الشيوعية ليسوا خارج البلاد الشيوعية فقط وانما في داخل البلاد الشيوعية نفسها . فالتعذيب والتنكيل والنفي وغسيل المخ والتجسس . كل

هذه المصائب شائعة في هذه البلاد ولكن لها أقنعة للأسف من الديمقراطية وحماية المجتمع ثم أن من يسمون أنفسهم بالمعسكر الحر . هم أيضا لهم نصيبهم العظيم في إنتهاك حقوق الانسان والمساعدة المادية والمعنوية في ذلك . وحتى في أكبر دول العالم وزعيمة هذا المعسكر الولايات المتحدة الامريكية . لا زالت ملحمة الزنوج قائمة فيها . ولا زالت حرية الدولة نفسها مسلوية بمعرفة اليهود .

والسؤال الآن : لماذا لم تعالج الموائيق والاتفاقات والتعهدات الدولية هذه على كثرتها كل هذه الاعتداءات على الحقوق ؟ لماذا لم تحمي حقوق الانسان ؟ وما هي أوجه القصور التي أدت الى ذلك ؟ هذا ما سنتناوله في الفصل التالي .

الفصل الثاني

أوجه القصور في المواثيق الدولية
المتعلقة بحقوق الانسان

- ١ - أسباب عدم جدوى المواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الانسان .
- ٢ - اليهود وراء مصائب العصر في الدين والدنيا .
- ٣ - تجربة تطبيق الشريعة الاسلامية في العصر الحديث .

لا شك - وكما تبين لنا في الفصل السابق - أن كافة المواثيق والمعاهدات والاتفاقات الدولية لا زالت قاصرة عن تحقيق المأمول منها وهو حماية حقوق الانسان ومواجهة انتهاكها بجرمهم . والدليل على ذلك أن الأمور بدأت تزداد سوءاً في السنوات الأخيرة واتسع نطاق الاعتداء على الحقوق بشكل لم يسبق له مثيل . ففي فلسطين المحتلة ورغم ادعاءات السلام تضم اسرائيل اليها رسعيا المزيد من الأراضي العربية وهي تعلم أن ذلك اعتداء على حقوق الآخرين . وفي الضفة الغربية وقطاع غزة لا يمر يوم دون الاضافة لمأساة شعب فلسطين وفي جنوب لبنان وفي داخله لا تمر ساعة دون ازهاق روح أو تدمير مبني . وفي أفغانستان لا يزال المجاهدون المسلمون يضحون بأرواحهم في سبيل حقوقهم المسلوبة على أرضهم . وفي الاتحاد السوفيتي الله وحده يعلم ما يقاسيه المسلمون هناك . ومن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي معا تنطلق الاشارة دائماً إذا كان المجال هو انتهاك لحقوق الانسان في أي بقعة من بقاع العالم .

إذن فما هو السبب في عدم جدوى هذه المواثيق ؟ هل القصور في نصوصها ؟ أم القصور في إلزامها ؟ هل القصور في تطبيقها ؟ أم هو قصور شامل في كل ذلك ؟ . في الحقيقة ان الصورة القاتمة التي

تسود العالم الآن من إنتهاكات لحقوق الانسان ، ما هي إلا مرض أصاب البشرية وأصبح داء عضالا . والمريض لا يستطيع أن يعالج نفسه ، خاصة إذا كانت أفكاره بدائية عن الطب ، وإذا كان المرض قد تمكن من جميع أجزاء جسمه . لذلك فلا بد من أن يلجأ المريض الى صانعه - سبحانه وتعالى - فهو العليم بدائه والخبير بدوائه . هو الذي خلق الانسان ويعلم ما توسوس به نفسه . أما إذا تركنا المريض وشأنه يحاول تطيب نفسه كما هو حادث الآن فإن المرض سيستمر وينتشر ويكون عقاب المريض هو الموت ، لأنه لم يلجأ الى الطبيب الذي إذا سأل عنه قريب ، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا .

وطالما أن المواثيق الدولية والمعاهدات قد وضعها بشر فإنها ستحمل صفات البشر من عدم الكمال وعدم الاحاطة ، بالإضافة إلى الاتجاهات الفكرية والاجتماعية والانتماءات الدولية للأشخاص القائمين على وضع هذه المواثيق . لذلك فإن النتيجة لن تخلو من أحد أمرين أو كلا الأمرين معا : الأول هو أن القصور يكون في نصوص هذه المواثيق - والثاني هو عدم صدق النية في تطبيقها . وما نشاهده الآن لا يجعلنا نهتم بالقصور في النصوص قدر الاهتمام بحالة عدم صدق النية في التطبيق . لأنه حتي هذه النصوص القاصرة لم تطبق أو لم يراد حتي الآن تطبيقها . أما إذا فرض أن هناك من يريد تطبيقها فإن قصورا آخر سيقف عقبة في سبيل ذلك ، وهو عدم وجود القوة اللازمة والمساعدة على التطبيق .

والدليل على عدم صدق النية في تطبيق نصوص المواثيق المتعلقة

بحقوق الانسان ان جميع الدول المنتهكة لهذه الحقوق هي من الدول الموقعة على احترامها وحمايتها وهي دول شملت المنظمة الدولية - التي من المفروض أنها ما قامت إلا لاسعاد الانسان - في عضويتها . وليس هناك أسخف من أن تصدر الأمم المتحدة القرار تلو الآخر ويضرب به الأعضاء عرض الحائط ولا ينفذ منه شيء . ولا يمكن أن تكون هناك أوضاعا مقولوبة أكثر من أن يبطل رأي الفرد ما يجمع عليه الآخرون ولا يستطيع المجموع أن يتخذ قرارا لرفع ظلم أو لنصرة حق إذا اعترض على ذلك فرد واحد صاحب قوة . أليس هذا هو الواقع المتمثل فيما يسمونه بحق الفيتو؟ أليس هو حق لفرض الظلم واجازة الاعتداء على الحقوق دون رادع؟ أليس هذا هو منطق الحق للقوة الذي ساد شريعة الغاب؟ إذن فالعامل المتحكم الآن في عملية تطبيق النصوص المتعلقة بحقوق الانسان هو عامل (الالزام) أو القوة اللازمة للتطبيق ، فهذه القوة الملزمة غير موجودة وهذا بعكس النصوص المتعلقة بحقوق الانسان والتي وردت بالقرآن الكريم فهي نصوص جامعة مانعة جاءت من عند حكيم خبير ، يسبق العمل بها الايمان بموجيها سبحانه وتعالى ومبلغها عليه الصلاة والسلام . إيمان يجعل الحارس على تطبيق هذه النصوص هو حارس يقظ موجود داخل كل انسان وهو الخوف من الله . وعبادته كأننا نراه في كل عمل نقدم عليه . فحقوق الانسان في الاسلام هي أوامر من الله واجبة التنفيذ على الكبير والصغير وعلى الأمير والخفير . ليس فيها مجال للمجاملة أو للمخادعة وهي نصوص وأحكام تشريعية وليست مجرد توصيات حضارية . ومن أوجه القصور

الأخرى في المواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الانسان أن نصوصها قابلة للتعديل والتبديل والحذف والاضافة طبقاً لأهواء القائمين على وضعها ومصالحهم المتغيرة . وهذا غير موجود في الشريعة الإسلامية ولا يمكن أن يوجد في أى وقت كان . لأنها شريعة كاملة ونعمة أتمها الله ورضيها لعباده دينا ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ ^(١) ولا يستطيع أحد أن يمسها بسوء لأن حافظها هو الله ﴿ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾ ^(٢) وهى موجودة في كتاب ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ ^(٣) ولا مجال فيها لاضافة أو تعديل لأنها من عند الله الذى خلق الانسان وعلم ما يصلحه وما يفسده ، وأراد أن يكون خليفته في الأرض . الله الذى أحاط بكل شىء علماً ، ومن علمه سبحانه وتعالى إحاطته التامة بالانسان وبكل ما يحيط به وبكل ما يحتاجه وبكل ما فعله وسيفعله إلى يوم الدين .

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن ما يحدث في العالم الآن من كوارث ومصائب في أمور الدين والدنيا ما هى إلا نتاج تخطيط خبيث من اليهود . ونظرة واحدة إلى القليل مما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون تثبت ذلك . وهى تمثل إقرارات بجرائمهم ضد البشرية كلها .

ففي مجال السياسة لا تتفق مع الأخلاق ، وأن الغاية تبرر

(١) سورة المائدة . آية رقم ٣

(٢) سورة الحجر . آية رقم ٩

(٣) سورة فصلت ، آية رقم ٤٢

الوسيلة ، ويقولون : علينا أن لا نلتفت إلى ما هو أخلاقي وما هو خير بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد . ان خير النتائج في حكم العالم ما ينتزع بالارهاب لا بالمناقشات الأكاديمية ويقولون : بغير الاستبداد لا يمكن أن تكون الحضارة ، والاعدام ضرورة تولد الطاعة العمياء . وحينما نستحوذ على السلطة يجب أن نمتحى كلمة الحرية من معجم الانسانية .

وفي مجال الاقتصاد والاقتصاد السياسي يقولون : إن فائدتنا نحن في ذبول الأميين وضعفهم ، وقوتنا في أن يبقى العامل في فقر ومرض دائمين ، لأننا بذلك نستبقيه عبدنا لارادتنا إذ لن يجد قوة ولا عزماً للوقوف ضدنا . يجب أن نعلم كيف نصادر الأموال بلا أدنى تردد إذا كان هذا العمل يمكننا من السيادة والقوة ويجب أن نحصل على إحتكار مطلق للصناعة والتجارة وأن نحصل من التجار على أكبر ربح ليظلم التجار الجماهير ويشروههم على الحكومات . وفر المجال الاجتماعى يقولون : لقد بذرنا الخلاف بين الأفراد كما بذرناه بين الأمم ، ونشرنا التعصبات الدينية والقبائلية خلال عشرين قرناً ، فلم يعد من الممكن أن يلتقي الأفراد ، ولا أن تلتقي الأمم . لقد خدعنا الجيل الناشئ من الأميين ، وجعلناه فاسداً متعقناً بما علمناه من مبادئ ونظريات ، معروف لدينا زيفها التام . ويقولون سنلهى الجماهير بأنواع شتى من الملاهى والألعاب للملء الفراغ ، وسندعو الناس للدخول في مباريات شتى في كل أنواع المشروعات كالفن وما إليها .

وفي مجال الدين يقولون : حينما نمكن لأنفسنا ونكون سادة

الأرض لن نسمح بقيام أى دين غير ديننا ، وسنكون قد حططنا كل عقائد الأديان الأخرى ، وسيفتح فلا سفتنا كل مساوىء الديانات الأئمية وقد وجدوا سبيلهم لتحقيق كل ما سبق وأكثر . ففي بروتوكولاتهم أيضاً يقولون : إذا استطعنا أن نصل إلى إقامة عصر جمهورى فسيمكنا أن نضع بدل الملك المقدس ناطوراً في شخص رئيس لهذه الجمهورية ، ونختاره من الدهماء من بين مخلوقاتنا وعبيدنا وأمثال هؤلاء يختارون ممن تكون صحائفهم السابقة مسودة بفضيحة أو بصفة أخرى مشينة ، وأن رئيساً من هذا النوع سيكون منفذاً لأغراضنا لأنه سيخشي التشهير ، وسيبقى خاضعاً لسلطان الخوف الذى يمتلك دائماً الرجل الذى وصل إلى السلطة والذى يتلهف على أن يستبقى امتيازاته وأمجاده مرتبطة بمركزه الرفيع . ويبدو أنهم قد حققوا بعض النجاحات بمكرهم وخبثهم فنحن نرى من رؤساء الدول وأصحاب المناصب الرفيعة من يخضعون للسياسات اليهودية الصهيونية التى تهدر كرامة الانسان وحقوقه . هكذا وصل الحد باليهود الصهاينة ، يعبثون في الأرض فساداً ، لذلك فلا يتصور أن يدفعهم عن ذلك ميثاق أو معاهدة أو اتفاقية مهما كانت الجهة المسئولة عنه . ولا يوجد سلاح يمكن أن نواجه به هؤلاء اليهود ومن على شاكلتهم من شيوعيين وملحدين ومنتهكين لحقوق الانسان إلاّ الاسلام ، الاسلام الذى وعد الله أن يظهره على الدين كله ولو كره المشركون وأن وعد الله الحق ومن أصدق من الله قتيلاً ، فعلياً أن نسلم الوجه لله ونتبع ما جاءنا من بينات وهدى وثقى بنصر الله كما نصر الذين آمنوا من قبلنا . فالتاريخ

يحمل لنا الكثير مما يجب أن نتعظ به ، فلم يكن هناك أعظم ولا أفضل من العصر الذى حكم فيه المسلمون بشرع الله ، ولو تمكن المسلمون من تحكيم الشريعة الاسلامية من جديد في بلادهم فسوف يعود هذا العصر بفضل الله ، وهناك تجربة لتطبيق الشريعة الاسلامية في هذا العصر يمكن أن تكون نبت خير في هذه الصحراء الموحشة . هذه التجربة هى المطبقة الآن في المملكة العربية السعودية . وقد أوضح سمو وزير الداخلية السعودى في الكلمة التي ألقاها في الندوة الاسلامية العالمية الثامنة التي عقدت بمقر رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة في موسم الحج لعام ١٣٩٩ هـ أوضح النتائج الملموسة لتطبيق الشريعة الاسلامية في المملكة ، وأثر ذلك في تحقيق الرخاء والأمن وحياة حقوق الانسان .

وأورد فيما يلى فقرات من هذه الكلمة لما فيها من دلالات مشجعة لمن لا يزال عندهم شك في أن الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان . فمن فقرات هذه الكلمة :

« أن أرقى دول العالم . في الحضارة والتقدم الصناعى والتعليم . لتفقد أعظم متطلبات المجتمع المعاصر الذى يتلهم على الأمن . ولكن بلادنا بفضل توفيق الله لنا . في تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية . حصلت على مافات دول العالم المتمدنين » .

« إنني لا أتحدث عن أمور نظرية . ولكن أتحدث عن تجارب أعرفها . وواقع عشته وأعيشه وبحكم عملى في وزارة الداخلية . ومن واقع تجاربي الطويلة . أقول للعالم أجمع . أن الفلاح والأمن والسعادة والعزة . في ظل تطبيق الشريعة الاسلامية » .

« إنه لا غرابة في حصول الثمرات العظيمة بسبب تطبيق الشريعة . فهي شريعة أحكم الحاكمين . العالم بمحاجات البشر واختلاف طبائعهم وتعدد مطالبهم وقد شرع لهم شريعة كاملة شاملة . فيها حل لكافة المشاكل التي وجدت في السابق والتي توجد إلى قيام الساعة . فلا تحتاج إلى زيادة ولا يعتريها نقص » .

« إننا قد قلنا مراراً لمن ناقشناه . أو بحثنا معه حول مكافحة الجريمة ومنع وقوعها . أن أنجح الوسائل لمعالجة منع الجرائم قبل وقوعها وبعده : أن يطبق المجتمع . نظام الاسلام ، وعقوباته الفرعية ... قلنا ذلك بعد تجربة طويلة ومقارنة متكررة . وكمشاهدة متعددة الأحوال في المجتمعات التي لا يطبق فيها شرع الله . ولا تعالج أمراضها بالعلاج الذى جاءت به شريعته سبحانه . »

« لقد رأينا بأنفسنا وسمع عنا العالم كيف أثمرت تطبيقاتنا لشريعة ربنا في أحلك الأحوال . وأخرج الظروف ثمرات باهرة . وعلاجاً للأمراض حاسماً . واختفاء لنوع الجريمة . بعد إيقاع العقوبة مباشرة »
« إننا في هذه الظروف العصيبة في أغلب بلاد العالم . وفي هذا السيل الطافح من الجرائم نقول للعالم بأسره : من أراد الظل البارد والأمن الصحيح وتأمين مجتمعه من الفساد والاجرام . فليطبق أحكام شريعة الاسلام . إننا نقول لمن لا يريدون أن يصدقوا هذا الكلام جربوا ذلك بصدق . تعرفوا حقيقة الأمر . »

والآن ما هى تلك الأحكام التي جاءت بها الشريعة الاسلامية

في ميدان حقوق الانسان ؟ والتي نتمني أن تسود العالم ويتعامل بها الجميع ؟ . هذا ما سنتبينه إن شاء الله في الفصول القادمة .

الفصل الثالث

الحقوق بين الانسان وربه

- ١ - حقوق الانسان من عدل الله
- ٢ - حقوق الانسان من رحمة الله
- ٣ - حقوق الانسان من كرم الله

قال رب العالمين في كتابه العزيز : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ ^(١) ومن بين آيات تكريم الله لبني آدم أن جعل لهذا المخلوق الضعيف ، الظلوم ، الجهول ، القتور جعل له حقوقاً عليه سبحانه وتعالى .

وتكريم الله للانسان محوره العدل والرحمة والكرم . وكلها صفات من أسماء الله لا يمكن أن نستوعب مدلولاتها إلا ما شاء الله لنا ذلك . ولا يمكن لبشر كان أن يحصي ما كرم الله بني آدم نعمة من نعم الله . وقد قال رب العالمين : ﴿ وان تعدلوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ﴾ ^(٢) . وتكريم بني آدم واعطائه حقوقه لم يكن من ملك أو رئيس أو أمير . أعطى التكريم حماية لمركزه وسلطته ، أو اعطاه تحت ضغط أو إرهاب أو ثورة ، أو أعطاه تقريباً أو مناورة . إنما تكريم بني آدم جاء من عند ملك الملوك القهار ، الجبار ، المتكبر ، الكبير المتعال القوى العزيز ، لم يكرهه أو يجبره أحد ولن يستطيع . ولم يأمره أو يطلب منه أحد ذلك . فسبحان

(١) سورة الاسراء . آية رقم ٧٠

(٢) سورة النحل . آية رقم ١٨

العاطى الوهاب ، الغنى عن العالمين ، سبحانه وتعالى عما يصفون .
ومن يتدبر كتاب الله سبحانه وتعالى - كما أمر - لا بد له من أن يقف
عند بعض الآيات التي تفيض تكريماً للإنسان ، فنعرف إلى أى حد
كان تكريم الله لبني آدم ، لقد كان تكريماً نابغاً من عدل الله ورحمته
وكرمه . أرسى به الله حقوقاً كثيرة لبني آدم . وسوف نستعرض بعض
هذه الحقوق في الفقرات التالية :

فمن عدل الله أن جعل حقوقاً عليه سبحانه لكل نفس خلقها .
وجعل أيضاً حقوقاً يتميز بها المؤمن عن الكافر ويتميز بها المصلح عن
المفسد . وكان ذلك قمة العدل الإلهي بين البشر أجمعين .
فأما الحقوق التي جعلها الله سبحانه على نفسه لكل نفس خلقها
فندكر منها :

١ - أنه أعطى سبحانه وتعالى الحرية والارادة الكاملة لكل
نفس لتختار بين الخير والشر بكافة أشكاله وأبعاده - وسوف نتناول
تفصيل ذلك في الفصل الخاص بالنفس - ومن صفات النفس ^(١)
أنها تهتدى أو تضل ، وتتركى أو تتدنس ، فمنابع الخير والشر لديها
ولديها فطرة إدراك الخير والشر ، ولديها الدوافع لفعل كل منها ،
فالنفس من صفاتها أنها عاملة كاسية ، تعمل وتكسب أفعال الخير
وأفعال الشر عن وعي كامل منها ، ولا تكون كذلك ما لم تكن
الارادة الحرة من خصائصها ومن عناصرها .
وهناك العديد من الآيات القرآنية الدالة على حق الحرية الذي

(١) الأخلاق الإسلامية - الاستاذ عبد الرحمن حبيكة

أعطاه الله للنفس لتتأثر بكامل إرادتها بين أفعالها . فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ فآلهمها فجورها وتقواها ﴾ ^(١) ويقول أيضاً : ﴿ وهديناه النجدين ﴾ ^(٢) ويقول سبحانه : ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ ^(٣) . وحرية النفس لم يقصرها رب العزة على أمر دون آخر إنما جعلها مطلقة حتي في العقيدة واختيار الدين فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ ^(٤) ويقول أيضاً مستنكراً أن يكون رسوله مكرهاً لنفسه على الايمان ، يقول سبحانه : ﴿ أفأنت تكره الناس حتي يكونوا مؤمنين ﴾ ^(٥) ويأمر رسوله بأن يقول : ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ ^(٦) ويقول سبحانه وتعالى في آية صريحة وواضحة في إطلاق حرية الاختيار للانسان : ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فاليكفر ﴾ ^(٧) إذن فالحق في الحرية كان من الحقوق الواضحة الجلية التي أعطاها الله لعباده . فهل هناك بعد ذلك من شك في أن الاسلام هو دين الحرية والكرامة ؟ .

وإذا كان حق الحرية قد أعطاه الله للانسان فهل يستطيع البشر أن يتصوروا أن ينتزعوا هذا الحق منه وهم مؤمنون ؟ وأي دين آخر

(١) سورة الشمس ، آية رقم ٨

(٢) سورة البلد ، آية رقم ١٠

(٣) سورة الانسان ، آية رقم ٣

(٤) سورة البقرة ، آية رقم ٢٥٦

(٥) سورة يونس ، آية رقم ٩٩

(٦) سورة الكافرون ، آية رقم ٦

(٧) سورة الكهف ، آية رقم ٢٩

وأى مذهب أو قانون يصون الحرية كما يصونها الاسلام^(١) .

٢ - والنفس - كأي شيء خلقه الله - محدودة القدرة في العمل والتحمل والتأمل وغير ذلك . فالطاقة المطلقة والقوة المطلقة ليست صفة من صفات مخلوقات الله ، وبالتالي ليست صفة من صفات النفس الانسانية . ولذلك كان الحق الثاني الذي أعطاه الله للنفس أن لا يحملها سبحانه وتعالى فوق طاقتها ، ولا يحملها إلا وسعها ، ولا يحملها إلا ما آتاها وهذا ولا شك من باب العدل الالهي المطلق . ورغم أنه قادر سبحانه على إذلال النفس وتسخيرها وتحميلها فوق طاقتها وتعذيبها واهلاكها إلا أنه سبحانه لم يشأ ذلك وإنما من فيض كرمه كانت هذه الآيات : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾^(٢) ويطلب منا أن ندعوا هذا الدعاء : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا . ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾^(٣) ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً ﴾^(٤) . والله لا يقبل من الانسان أن يحمل نفسه فوق طاقتها حتي ولو كان ذلك في عبادته سبحانه وتعالى فعن أنس رضي الله عنه قال : دخل النبي

(١) راجع الفصل السابع من هذا الكتاب

(٢) سورة البقرة - آية رقم ٢٨٦

(٣) سورة البقرة - آية رقم ٢٨٦

(٤) سورة الطلاق - آية رقم ٧

ﷺ المسجد فاذا جبل ممدود بين الساريتين ، فقال : « ما هذا الجبل ؟ » قالوا : هذا جبل زينب فاذا افترت تعلقت به . فقال النبي ﷺ : « حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه فاذا افترا فاليرقد »^(١) إذن فعدم تحميل النفس فوق طاقتها هو سبيل حماية حقوق الجسد وحقوق الآخرين فضلاً عن أنه حق عام ممنوح من الله عز وجل للجميع .

٣ - ومن الحقوق أيضاً التي فرضها الله تعالى للنفس بعد أن أعطاهما الإرادة وحرية الاختيار ولم يحملها إلا وسعها ، إنه قطع سبحانه وتعالى على نفسه عهداً بأن لا يعذبها حتى يبعث رسولاً . فبعدل الله أصبح للانسان حقاً في الحماية من العذاب إذا لم يأتيه من الله رسولاً يبلغه ما يريد الله منه ، ويبين له كيف يكون خليفة لله في الأرض كما أمر الله سبحانه وتعالى . ومن الآيات الكثيرة الدالة على ذلك قوله تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذنين حتي نبعث رسولا ﴾^(٢) . وقال سبحانه : ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتي يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا ﴾^(٣) . ويقول أيضاً : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعدهم ... ﴾ إلى أن قال في توضيح مهمة الرسل : ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾^(٤) . وقد أثبت القرآن الكريم أن العذاب لم يقع

(١) متفق عليه .

(٢) سورة الاسراء . آية رقم ١٥

(٣) سورة القصص . آية رقم ٥٩

(٤) سورة النساء . آية رقم ١٦٥

على الكافرين إلا بعد أن جاءهم الرسول بالبينة . فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربنا أو لم تأتيناهم ببينة ما في الصحف الأولى . ولو أنا أهلكتناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى ﴾ (١) . ويقول رب العالمين أيضاً : ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ (٢) . هكذا يبين رب العالمين أن إرسال الرسل قد أبطل حجج الذين حق عليهم العذاب ولم يعد لهم إلا أن يقولوا بما جاء في هذه الصورة الحية من صور الحوار في القرآن الكريم بين الكافرين وبين خزنة جهنم : ﴿ وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير . إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور . تكاد تميز من الغيظ . كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير . وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير ﴾ (٣) .

هذه هي صور ثلاثة من الحقوق التي جعى جعلها الله سبحانه وتعالى للنفس وكلها من منطلق العدل الإلهي والتكريم الذي خص الله به بني آدم . أعطى لنفس الإنسان الإرادة الحرة وحق الاختيار . ولم يحملها فوق طاقتها ولم يعذبها حتي أرسل الرسل لتبين

(١) سورة طه ، آية رقم ١٣٤

(٢) سورة القصص ، آية رقم ٤٧

(٣) سورة الملك ، آية رقم ٦ - ١١

منهج الله وشريعته .

ولكن ماذا عن تكريم بني آدم من خلال العدل الالهي بين البشر أجمعين ؟ ماذا عن النفس الأمارة بالسوء ؟ وماذا عن النفس اللوامة ؟ وماذا عن النفس المطمأنة ؟ ماذا عن المؤمنين والكافرين ؟ ماذا عن المصلحين والمفسدين في الأرض ؟ هل من العدل المساواة بين كل هؤلاء ؟ . إن القرآن الكريم يحتوى على الكثير من الآيات التي تبين حقوق المؤمنين والمصلحين ، وتبين من منطلق العدل الالهي التفرقة اللازمة بين المحسن والمسيء . فالمؤمنين جعل الله لهم حق عليه أن ينصرهم وينجيهم ويدافع عنهم فيقول عز من قائل : ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ ^(١) ويقول أيضاً : ﴿ ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننجي المؤمنين ﴾ ^(٢) ويقول سبحانه : ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا . إن الله لا يحب كل خوان كفور ﴾ ^(٣) . وعن المؤمنين الذين يجاهدون في سبيل الله يقول رب العالمين ﴿ .. ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله . ولا يطئون موطأ يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ ^(٤) . وبالإضافة إلى أن الله ينصر

(١) سورة الروم : آية رقم ٤٧

(٢) سورة يونس : آية رقم ١٠٣

(٣) سورة الحج : آية رقم ٣٨

(٤) سورة التوبة : آية رقم ١٢٠

المؤمنين ويدافع عنهم وينجيهم ولا يضيع أجرهم ، بالإضافة إلى كل ذلك فانه سبحانه لم يجعل للشيطان عليهم سبيلا فيقول عز وجل ﴿ فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴾ ^(١) . والعدل الالهى لا ينتهى عند حد فهو مصاحب للانسان حتى نهاية حياته ﴿ كل نفس ذائقة الموت . وانما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾ ^(٢) . هكذا يعدل رب العزة بين جميع الأنفس فجميعها ستذوق الموت . وقد ذاقته نفس الرسول الكريم محمد ﷺ الموت وهو حبيب الله وأفضل وخاتم رسله . وما ذلك إلا عدل من رب العالمين . ثم يأتي البعث وهو الميقات الذى حدده رب العزة للحكم والعدل بين البشر أجمعين . وقد جعلها الله حقاً لأن في هذا اليوم يأخذ كل من له حق حقه . فيقول سبحانه ﴿ إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴾ ^(٣) وفي يوم القيامة تأتي كل نفس ومعها كتابها ومعها سائق وشهيد وتجد كل نفس ما عملت محضراً أحصاه الله في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة وتبدأ تجادل كل نفس عن نفسها . إنها محكمة قاضيتها رب العالمين سبحانه وتعالى الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور في

(١) سورة النحل ، آية رقم ١٠٠

(٢) سورة آل عمران ، آية رقم ١٨٥

(٣) سورة يونس . آية رقم ٤

هذا اليوم يوم البعث - يوم إتمام العدل الالهي بين جميع مخلوقات الله يحكم أحكم الحاكمين بين البشر أجمعين ﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ ^(١) ويقول رب العالمين سبحانه ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ^(٢) وبعد الحساب نجد الصورتين المختلفتين للنتيجة الحتمية للعدل الالهي ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً ... ﴾ ^(٣) ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ﴾ ^(٤). وهذه هي خاتمة العدل الالهي بين العباد لا تجد فيها فرق بين غني وفقير أو أبيض أو أسود وإنما هي التقوى والعمل الصالح .

كل هذه لقطات خاطفة من آيات الله تظهر لنا أن العدل الالهي شمل الانسان شمولاً كاملاً . رغم ظلم الانسان وجهله . ولكن هل العدل فقط هو مصدر الحقوق التي منحها الله للانسان ؟ الاجابة هي النفي قطعاً . فلو أخذنا الله بعدله فقط هلكنا لأننا ظالمين لأنفسنا ولغيرنا . ومن عدل الله أن يأخذ الظالم جزاءه العادل على ظلمه . لذلك كان لا بد لنا من رحمة الله كمصدر آخر من مصادر الحقوق الربانية التي أعطاها الرحمن الرحيم للانسان . ويؤكد هذا حديث رسول الله ﷺ عن أبي هريرة أن النبي قال : « ما من أحد يدخله عمله الجنة » . فقيل ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا

(١) سورة البقرة . آية رقم ٢٨١

(٢) سورة الزلزلة . آية رقم ٨٧

(٣) سورة الزمر . آية رقم ٧١

(٤) سورة الزمر . آية رقم ٧٣

أنا . الا أن يتغمدني ربي برحمته » . (١) وعنه ﷺ أيضاً عن جابر قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة ولا يخرجه من النار ولا أنا إلا برحمة من الله » (٢) ورحمة الله وسعت كل شيء ويقول الحبيب المصطفى ﷺ في حديثه الشريف . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « جعل الله الرحمة مائة جزء . فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزء واحداً ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق . حتي ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » (٣) . وعن أبي هريرة أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ لما قضى الله الخلق . كتب في كتابه على نفسه ، فهو موضوع عنده : أن رحمتي تغلب غضبي » (٤)

ومن أول أبواب الرحمة قبول التوبة . وهذا حق من الحقوق التي أعطاها الله لعباده من باب رحمته . فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنْ جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءٌ أَجْهَالَةٌ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥) . ومن هذه الآية الكريمة يظهر أن الله سبحانه وتعالى ألزم نفسه الرحمة تفضلاً منه وإحساناً . فمن عمل خطيئة بغير قصد ثم تاب من بعد ذلك الذنب وأصلح عمله فإن الله يغفر له . والاصلاح هنا يمكن أن يعود على ما أفسده بفعله السيئ

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح مسلم

(٤) صحيح مسلم

(٥) سورة الأنعام . آية رقم ٥٤

أولاً ثم يعود على ما سوف يأتيه مستقبلاً من أعمال صالحة . وفي جميع الآيات التي ذكرت فيها التوبة - تقريباً - نجد أن الله سبحانه وتعالى يقرنها بالعمل الصالح أو يقرنها بالآيمان الذي هو مفتاح كل عمل صالح وذلك حتي يعوض الانسان الذي أخطأ ما فاته ويعطى كل ذى حق حقه فيقول رب العالمين : ﴿ هَمِّنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظِلْمِهِ وَأَصْلَحْ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) ويقول أيضاً : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ (٢) ويقول سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) . ومن حكمة الله تعالى ورحمته بخلقه أن فتح باب التوبة لهم حتي لا ييأس الانسان ويستمر على خطئه وضلاله واعندته على حقوق الآخرين وأن الله يشجع على التوبة ويقرح بعبد التائب وليس أدل على ذلك من عفوه سبحانه وتعالى وكرمه والذي يشعر به كل من يقرأ - هذه الآية ﴿ لا من تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٤) فتبديل السيئة إلى حسنة هو أقوى الحوافز التي وضعها رب العزة للمحافظة على الحقوق . وقد طلب الرسول ﷺ منا التوبة فعن الأعرابي بن يسار رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة » (٥) وقال رب

(١) سورة المائدة . آية رقم ٣٩

(٢) سورة طه . آية رقم ٨٢

(٣) سورة الاعراف . آية رقم ١٥٣

(٤) سورة الفرقان . آية رقم ٧٠

(٥) صحيح مسلم

العزة : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون ﴾ ^(١) وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً ﴾ ^(٢) وليست هناك فرحة تعدل فرحة رب العالمين بالتائب ففي حديث أبي هريرة قال أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي - وأنا معه حيث يذكرني والله الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة . ومن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً . ومن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإذا أقبل إلى يمشي أقبلت إليه أهول » ^(٣) ويجعل الله ثواباً عظيماً للشاب التائب . لأنه يتوب إلى الله مبكراً في الحديث المشهور عن النبي ﷺ عن السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، ذكر منهم الشاب التائب . فهنيئاً لمن تاب في صغره وما ثوابه هذا العظيم إلا أنه في شبابه لم يمنعه عن المعصية المرض أو غير ذلك وإنما منعه مخافة الله رب العالمين ثم أن هناك الفرصة كافية وسانحة لإصلاح ما فسد ورد الحقوق فما من شك في أن باب التوبة المفتوح يعطي الفرصة دائماً لتصحيح الأخطاء التي وقعت في حق الآخرين - ولكن هل باب التوبة مفتوح إلى نهاية عمر الإنسان ؟ الإجابة الطبيعية هي بالنفي قطعاً . وإلا لأجل المسيء توبته إلى أن يصبح عاجزاً تماماً عن المعصية وعاجزاً في نفس الوقت عن العمل الصالح الذي يفعله مع التوبة . ولذلك يقول رب العالمين ﴿ وليست التوبة للذين يعملون

(١) سورة النور - آية رقم ٣١

(٢) سورة التحريم - آية رقم ٨

(٣) صحيح مسلم

السيئات حتي إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً ﴿١﴾ .

ومن الأمثلة التاريخية على ذلك ما أورده القرآن الكريم عن فرعون الذي عصي ربه وتكبر وطمع وبغى وقال أنا ربكم الأعلى . حتي جاء أمر الله وأدركه الغرق فأمن بالله . ولكن هذا وقت لا ينفع فيه الايمان لأنه لن يصلح ما فسد ، ولن يرد حقا ، ولن يمنع معصية ستقع . إنها النهاية التي ليس بعدها إلا الحساب فيقول رب العزة مصوراً ذلك في القرآن الكريم ﴿ حتي إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ (٢) فكان جواب رب العالمين عن مثل هذا الايمان : ﴿ الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾ (٣) كذلك فان التوبة بعد ظهور آيات ربنا الكبرى الدالة على قيام الساعة وطلوع الشمس من المغرب توبة لا تجدى . لأنها توبة وإيمان رغم أنف تائبها ولن يستطيع بعدها أن يصلح ما أفسد . ويدل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال : قال رسول الله ﷺ « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » (٤) .

وإذا قبل الله سبحانه وتعالى توبة العبد فان جزاءها المغفرة بمشيئة الله . والمغفرة هي باب آخر من أبواب رحمة الله ﴿ وإن ربك

(١) سورة النساء . آية رقم ١٨

(٢) سورة يونس . آية رقم ٩٠

(٣) سورة يونس . آية رقم ٩١

(٤) صحيح مسلم

لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ﴿١﴾ والله يغفر لمن استغفر فيقول عز وجل ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ (٢) والله يغفر لمن بدل حسناً بعد سوء . لقوله عز وجل ﴿الا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم﴾ (٣) وبأي الله رب العالمين الا أن يكرم الانسان من كرمه سبحانه ويعطيه حقوقاً أخرى فبعد أن أعطاه بعد له حقوقاً كثيرة . وأعطاه برحمته جل شأنه حقوقاً أكثر سنرى الآن من بعض آياته أنه بكرمه سبحانه وتعالى قد استكمل الانسان جميع حقوقه بشكل جامع مانع . لا يحتاج إلى إضافة ولا إلى حذف ولا إلى تعديل ولا إلى تبديل . فبعد باب العدل والرحمة يأتي باب الكرم وباب الكرم عند الله باب واسع فهو أكرم الأكرمين . فيقول سبحانه وتعالى : ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ (٤) ويقول سبحانه وتعالى : ﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثله . ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾ (٥) فما أوضح ولا أعظم من كرم الله الذي لا يجازى عن السيئة إلا بمثلها . ولكنه يضاعف الحسنات ويرزق بغير حساب . والرزق حق من الحقوق التي فرضها رب العزة لعباده من باب

(١) سورة الرعد . آية رقم ٦

(٢) سورة النساء . آية رقم ١١٠

(٣) سورة النمل . آية رقم ١١

(٤) سورة النساء . آية رقم ٤٠

(٥) سورة غافر . آية رقم ٤٠

كرمه . وكان من كرم الله ورحمته وعدله أن جعل الرزق بيده سبحانه وتعالى ﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون﴾^(١) ويقول : ﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين﴾^(٢) ويقول أيضاً مستنكراً : ﴿أمن هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور﴾^(٣) وقد أراد رب العزة الإيضا يضع الرزق بيد الانسان لأن الله يصف الانسان فى القرآن الكريم بقوله : ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذن لأمسكن خشية الانفاق وكان الانسان قتوراً﴾^(٤) . كذلك لم يشأ عز وجل أن يضع الرزق بيد غيره سبحانه حتى لا نعبد إلا هو ولا تكون لنا حجة فى اللجوء إلى غير الله . ولا يصبح الفقير ضعيفاً أمام الغنى ويهضم الأخير حقه . إنها حكمة لا يعلمها الله ويرسخها فى عقولنا وقلوبنا بآيات بينات وقرآن يتلى فيقول سبحانه : ﴿أفرايتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونهم أم نحن الزارعون﴾^(٥) ويقول : ﴿أفرايتم الماء الذى تشربون ءأنتم أنزقموه من المزن أم نحن المنزلون﴾^(٦) ثم يحيب رب العالمين على ذلك بما يؤكد لنا أن الرزق بيده وحده فيقول - عن الرزق الذى يخرجنا من الأرض - عن الزرع الذى يزرعه سبحانه ونحرثه نحن

(١) سورة المائدة - آية رقم ٨٨

(٢) سورة هود - آية رقم ٦

(٣) سورة الملك - آية رقم ٢١

(٤) سورة الاسراء - آية رقم ١٠٠

(٥) سورة الواقعة - آية رقم ٦٤/٦٣

(٦) سورة الواقعة - آية رقم ٦٩/٦٨

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجْعَلْنَاهُ حِطَامًا فَظَلِمَ تَفْكُهُونَ إِنَّا لَمَغْرُمُونَ . بَلْ نَحْنُ
مَحْرُومُونَ﴾ (١) ولذلك يعلمنا الرسول ﷺ ويقول : « لا يقولن
أحدكم زرعتم ولكن قل حرثتم » (٢) ويقول جل شأنه عن الرزق
الذى ينزل لنا من السماء ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجْعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا
تَشْكُرُونَ﴾ (٣) هذا الرزق الذى بين لنا عز وجل أنه بيده وحده وأنه
قادر أن يمنعنا عما جعله سبحانه حقاً عليه لعباده فيقول : ﴿كَلَّا نَمُدُّ
هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (٤) أى
أنه سبحانه قد جعل لكل إنسان خلقه حقاً في الرزق : سواء كان
هذا الانسان مؤمناً أم كافراً ، خيراً أم شراً . ولنتظر معاً إلى هذا
التعليم الرباني الجليل عندما دعا خليل الله إبراهيم ربه بأن تكون
الامامة من بعده في ذريته . فان الله عز وجل حرم منها الظالمين حيث
يقول : ﴿وَإِذَا ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَّحَنَ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ
لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (٥) أما
عندما دعا الخليل إبراهيم ربه بقصر الرزق على من آمن به فان الله
أعطاه أيضاً لمن كفر . فيقول عز وجل : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ
اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ
وَيُشْسُ الْمَصِيرُ﴾ (٦) إذا فرزق الله لخلقه ليس قاصراً على

(١) سورة الواقعة . آية رقم ٦٧/٦٥

(٢) صحيح البخاري

(٣) سورة الواقعة . آية رقم ٧٠

(٤) سورة الاسراء . آية رقم ٢٠

(٥) سورة البقرة . آية رقم ١٢٤

(٦) سورة البقرة . آية رقم ١٢٦

من آمن بالله وبالرسل واليوم الآخر وإنما هو للجميع من باب كرمه سبحانه وحسب مشيئته وتقديره . للمؤمن وللكافر ثم بعد أن تنتهى هذه الحياة الدنيا يأتي الحساب عن الإيمان والعبادة وعن الرزق أيضاً . ولو كان عطاء الله قاصراً على المؤمنين فقط إذن لأعطى رسله وأنبيائه أفضل مما أعطى العالمين في هذه الدنيا ولكنهم كانوا أكثر الناس إبتلاءً لحكمة يعلمها أرحم الراحمين الذى يرزق خير خلقه من الأنبياء المرسلين كما يرزق شر خلقه من العصاة والكافرين فمن يقدر على هذا ويصبر عليه الا رب العالمين . ففي حديث عن عبدالله بن قيس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله تعالى . إنهم يجعلون له نداً ويجعلون له ولداً . وهو مع ذلك يرزقهم ويعافيم يعطيهم » (١) .

(١) صحيح مسلم .

الفصل الرابع

الحقوق المتعلقة بالنفس

- ١ - الاسلام لا يحمل النفس فوق طاقتها
- ٢ - الاسلام يحفظ النفس من القتل
- ٣ - الاسلام يأمر بحفظ النفس من الهلكة والمرض
- ٤ - الزنا اعتداء على النفس يحرمه الاسلام

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ . وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ ^(١) فالله سبحانه وتعالى خلق الأنفس وأعطاها الحياة وأعطاها صفات عديدة منها ^(٢) « أنها تهوى فلها أهواء ، وتشتهى فلها شهوات : وتشعر بالمشقات ، وتصبر أو تضجر وتخاف أو لا تخاف . وتخشى أو لا تخشى . وتجود أو تبخل وتشح وتحسد أو لا تحسد . وترضي أو لا ترضي . وتقع أو تطمع . وتدرك أو لا تدرك . وتعلم أو تجهل وتشك وتظن وتستيقن . ويمسها الحرج والضيق أو تنشرح . وتفرح أو تحزن . وتتكبر أو تتواضع وتسر أو تتحسر . وتتأثر بالقول البليغ أو لا تتأثر . إلى غير ذلك من صفات هي من قبيل المشاعر الوجدانية والادراكية » .

« والنفس من صفاتها : أنها تهتدى أو تضل : وتتركى أو تتدنس : فمنايع الخير والشر لديها ولديها فطرة ادراك الخير والشر ، ولديها الدوافع لفعل كل منها » .

« والنفس من صفاتها : أنها عاملة كاسبة : تعمل وتكسب

(١) سورة النساء . آية رقم ١

(٢) الاخلاق الاسلامية - الأستاذ عبدالرحمن حبنكة

أفعال الخير وأفعال الشر عن وعي كامل منها . ولا تكون كذلك ما لم تكن الإرادة الحرة من خصائصها ، ومن عناصرها .
وانطلاقاً من كل هذه الصفات وغيرها كانت النفس مسئولة ، ومن الممكن أن تكون نفساً مطمئنة أو نفساً لوامة أو نفساً أمارة بالسوء . وطالما أن الله هو الذى منح النفس الحياة والإرادة الحرة فإنه هو وحده الذى له حق سلب هذه الحياة منها وقت يشاء . ولذلك فهو وحده سبحانه الذى يذيقها الموت حتى ولو قتلت . وهو وحده أيضاً الذى يحاسبها ويجازيها بما عملت ثواباً أو عقاباً بعد أن ألهمها فجورها وتقواها .

والنفس تناولتها العديد من الآيات وبينت أنها كما سبق القول قد تكون نفساً لوامة أو أمارة بالسوء أو مطمئنة . والله يعدل بين الأنفس يوم القيامة فيقول : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ^(١) إذن فلكل نفس منزلة يوم القيامة بما اكتسبت في الحياة الدنيا . ورغم ذلك فإن الله قد جعل للنفس مهما كانت صفاتها ، جعل لها حقاً يتمثل في عدم الاعتداء عليها .

والاعتداء على النفس قد يأخذ صوراً متعددة ولكنها جميعها حرمها الله ، ونص على جزاء رادع لمن يعتدى على النفس . ويتدرج هذا الجزاء باختلاف صورة الاعتداء وظروفه . وسوف نتناول بعض صور الاعتداء على النفس لستين القدر

(١) سورة البقرة . آية رقم ٢٨١

الذى أخذه حق حماية النفس والمحافظة عليها من إهتنام في الشريعة الإسلامية .

وأول صور الاعتداء على النفس هو تحميلها فوق طاقتها . فلا شك أن في ذلك ظلم النفس وأرهاق لها . ومن عظمة الاسلام ما نجده في آيات عديدة من القرآن الكريم التي تبين أن خالق النفس هو سبحانه أول من ألزم نفسه تفضلاً ورحمة بأن لا يحمل نفوس العباد من لا طاقة لهم به فيقول عز وجل : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ ^(١) . وفي هذا من باب أولى تكليف للعباد بأن لا يحملوا النفس أكثر من طاقتها ، ولذلك نجد أن الرسول الكريم محمد ﷺ يشرح هذا الأمر في أكثر من حديث . فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ . فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فاني أصلي الليل أبداً وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني أخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » ^(٢) . إذن فتحميل النفس ما لا تطيق ليس من سنة نبينا عليه الصلاة والسلام . وعن عبد الله بن عمر بن العاص أن رسول الله

(١) سورة البقرة . آية رقم ٢٨٦

(٢) صحيح البخاري

صلى الله عليه وسلم بلغه أن عبد الله حلف أن يصوم النهار ويقوم الليل ما عاش . فقال له : « صم وأفطر . ونم وقم . فان لجسدك عليك حقاً . وأن لعينك عليك حقاً وأن لزوجك عليك حقاً . وأن لزورك عليك حقاً » ^(١) وفي رواية وأن لولدك عليك حقاً .

ومن الصور الأخرى للاعتداء على النفس « القتل » . وهذه أبشع صور الاعتداء على النفس . لذلك فقد كانت محور إهتمام واسع في الشريعة الإسلامية . وقد جاء الأمر بعدم القتل صريحاً في عدد من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة . فيقول عز وجل : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلَاهُ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ ^(٢) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ عندما سئل عن الكبائر : « الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وشهادة الزور » ^(٣) وهي كلها إعتداءات على النفس . فالشرك وعقوق الوالدين وشهادة الزور ظلم للنفس أما القتل فيكفيننا لتصوير بشاعته وقسوته وأثره قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ^(٤) وعن عبد الله بن مسعود قال : قال

(١) صحيح البخاري

(٢) سورة الاسراء . آية رقم ٣٣

(٣) صحيح مسلم

(٤) سورة المائدة . آية رقم ٣٢

رسول الله ﷺ « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » ^(١) ويقول ﷺ أيضاً ليدفعنا إلى الابتعاد عن الاقتتال « إذا لقي المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار . قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول . قال « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » ^(٢) . وفي نفس المعنى نرى المقداد بن عمرو يقول : يا رسول الله إن لقيت كافراً فاقتلنا فضرب يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ بشجرة وقال أسلمت لله أأقتله بعد أن قالها ؟ قال رسول الله ﷺ « لا تقتله » قال رسول الله ﷺ فانه طرح إحدى يدي ثم قال بعد ما قطعها . أأقتله ؟ « قال لا تقتله . فان قتله فانه بمنزلة من قبل أن تقتله وأنت بمنزلة من قبل أن يقول كلمته الذي قال » ^(٣) .

وحتى قتال العدو لا يريد رسول الله ﷺ أن يجعله أمنية للمسلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن النبي ﷺ قال : « لا تمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموه فاصبروا . » ^(٤) ثم يوضح الرسول ﷺ ما يحمله البعض من أن الشدة والقوة ليست بالعنف وإنما بتلك النفس عند الغضب . فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » ^(٥) . ويصل التحذير من جريمة القتل إلى أن الشروع في الاعتداء على النفس يستوجب لعنة الملائكة . فعن أبي هريرة

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح البخاري

(٣) صحيح البخاري

(٤) صحيح مسلم

(٥) صحيح مسلم

رضي الله عنه قال : قال أبو القاسم عليه السلام : « من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه وإن كان أخاه لأبيه وأمه . » ^(١)

فأى شيء يدفع إلى عدم القتل أكثر من تلك التوجيهات النبوية الشريفة ؟ . إنها توجيهات لم ولن يصل البشر إلى أفضل منها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . وقتل النفس يقع تحريمه في الاسلام على القاتل أى ما كان حتي ولو قتل الانسان نفسه وهو ما يسمى اليوم « بالانتحار » . يقول عليه السلام : « الذى يخنق نفسه يخنقها في النار » والذى يطعن بها يطعن في النار ^(٢) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً . ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً » ^(٣) وعن جابر ابن سمرة قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم برجل قتل نفسه بمشقاص فلم يصلى عليه ^(٤) .

ويشرع عليه السلام لأئمة ما يحمى النفس من الأذى والقتل فيقول : « من حمل علينا السلاح فليس منا » ^(٥) ويقول عليه السلام : « إذا مر أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا ومعه نبل فليمسك على نصالها أو قال فليقبض بكفه أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيء » ^(٦) .

-
- (١) صحيح مسلم
 - (٢) صحيح البخاري
 - (٣) صحيح مسلم
 - (٤) صحيح مسلم
 - (٥) صحيح البخاري
 - (٦) صحيح البخاري

هذا هو الكمال الذى جاءت به الشريعة الاسلامية للمحافظة على نفس الانسان من القتل . ولكن ماذا لو تم الاعتداء على النفس بالقتل فعلاً ؟ هنا يفرق الاسلام بين القتل الخطأ والقتل العمد فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا . فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة . وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليمًا حكيمًا ﴾ (١) ودون الدخول في تفاصيل هذه الآية الكريمة ننظر إلى جزاء تحرير الرقبة فنجد من أكمل صور العدالة في الاسلام حيث تعطى حقوق كاملة لانسان مؤمن مقابل فقد حقوق كاملة عن طريق الخطأ لانسان آخر . هذا مع التعويض اللازم لأهل المقتول . ويتضح من هذه الآية أيضاً أن الاسلام لم يترك العقوبة تمر دون أن يحقق منها المنفعة العامة للمسلمين . فالجزاء ليس عقوبة فقط إنما هو وسيلة لتحقيق عدالة شاملة بين أفراد المجتمع . فهو جزاء يحقق التعويض عن الحقوق التي فقدت بوفاة شخص عن طريق الخطأ ليس فقط تعويض لأهل القتل وإنما أيضاً تعويض للمجتمع ككل وذلك عن طريق إستكمال حقوق شخص آخر وإعطائه الحرية الكاملة دون استعباد من أحد بعد أن كان مملوكاً ومسلوب الحرية .

هذا عن القتل الخطأ أما إذا تعرضت النفس للقتل العمد فإن

(١) سورة النساء . آية رقم ٩٢

الجزاء لا يكتفي فيه بتعويض المجتمع أو أهل القتل لأن الأمر هنا لم يكن خطأ يراد تصحيحه والتعويض عنه إنما الأمر أصبح فيه خطراً يهدد المجتمع بصفة عامة وبطريق العمد والقصد . لذلك فإن العقوبة هنا تصل إلى غضب الله ولعنته أولاً فيقول عز وجل : ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾ (١) . هذا جزاءه في الآخرة أما جزاءه في الدنيا فهو القتل . وهذا القصاص العادل الذي أمر به رب العزة . يوقع على القاتل أياً كان ، فلا فرق بين نفس غني ونفس فقير ، ونفس حاكم ونفس أجير ، ونفس كبير ونفس صغير . فكلها عند الله سواء . وقد عرض رب العالمين أحكام القصاص في آيات كثيرة منها قوله سبحانه وتعالى : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له» (٢) ويقول أيضاً : ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾ (٣) .

وإن كان القصاص من القاتل بالقتل إلا أن الله يرشدنا إلى عدم الاسراف في القتل . وعفو أهل القتل عن القاتل لن يكون بطبيعة الحال إلا إذا كان للقاتل عذر لما التمس له أهل القتل . ولا بد أنه عذر قوياً . لذلك فهي رخصة تركت بلا شك في يد لن يفلت منها

(١) سورة النساء ، آية رقم ٩٣

(٢) سورة المائدة ، آية رقم ٤٥

(٣) سورة البقرة ، آية رقم ١٧٨

المجرم إلا إذا كان قد ندم وتاب فعلاً وبدا منه أنه لن يكون خطراً على أحد من جديد وهي رخصة فيها من ترسيخ الرحمة في القلوب ما فيها .

ويعرض لنا رب العالمين قصة القتل منذ أن بدأ الانسان خلافته على الأرض لتكون موعظة ففيها الخوف من رب العالمين وفيها القتل وفيها الخسارة وفيها الندم . يقول رب العزة على لسان أحد الأخوين ﴿لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك أي أخاف الله رب العالمين﴾^(١) وبعد القتل تأتي الخسارة ﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين﴾^(٢) ثم عندما يكتشف الانسان عجزه وجهله يأتي الندم ﴿قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخى فأصبح من النادمين﴾^(٣) .

وقتل القاتل الذي تعمد القتل هي حالة من حالات ثلاث حددها رسول الله ﷺ في حديثه الشريف . عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله إلا باحدى ثلاث : الثيب الزان . والنفس بالنفس . والتارك لدينه ، المفارق للجماعة »^(٤) وهذه الحالات الثلاث ما هي إلا حالات إعتداء على النفس . فالحالة

(١) سورة المائدة ، آية رقم ٢٨

(٢) سورة المائدة ، آية رقم ٣٠

(٣) سورة المائدة : آية رقم ٣١

(٤) صحيح مسلم

الأولى الزنا وسوف نتناوله في فقرة من الفقرات التالية من هذا الفصل . والحالة الثانية قتل النفس فلا بد فيها من القصاص وهذه عدالة الله وجزاء لمن يقدم على القتل وردعا لمن تسول له نفسه قتل أخيه . أما الحالة الثالثة وهى حالة التارك لدينه فسوف نتناولها في الفصل الخاص بحرية العقيدة .

ونتقل الآن إلى صورة أخرى من صور الاعتداء على النفس وهى حالة تعرضها للتهلكة والمرض ، وهناك تحذير من الله عز وجل يقول فيه : « **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** » ^(١) ويقول ﷺ حماية للنفس من المرض « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » ^(٢) . ويزيدنا تأديباً صلوات الله وسلامه عليه حتى مع النفس الكافرة فعن عبدالرحمن بن أبي ليلة أن النبي ﷺ مرت به جنازة فقام فقبل له أنها جنازة يهودى ، فقال أليست نفساً » ^(٣) .

وتكليف النفس أكثر من طاقتها أو قتلها أو تعرضها للتهلكة أو المرض ليست هذه الصور الوحيدة للاعتداء على النفس . إنما هناك صورة بشعة أخرى وهى « الزنا » . والزنا فيه إعتداء على النفس لأنه إعتداء على حق الانسان في إمتلاك عرضه والحفاظة على شرفه . واعتداء أيضاً على حق من حقوق النفس وفي المهد : على الطفولة البريئة . ولذلك نجد أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

(١) سورة البقرة ، آية رقم ١٩٥

(٢) صحيح البخاري

(٣) صحيح البخاري

عالجت هذه الصورة بكافة الطرق . بالتحريم ، وبالعقاب ، وبالترهيب ، وبالاختتاب ، وبالأرشاد إلى ما يعالج هذه الصورة السيئة في المجتمع . والتحريم وارد في الآية الكريمة : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(١) . ومن الملاحظ هنا في هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بعدم الاقتراب من الزنا فالأمر ليس بعدم الوقوع في جريمة الزنا وإنما الأمر أشد حيلة وحفاظاً على النفس فجاء بعدم الاقتراب من الزنا . ولا شك في أن ذلك أبلغ تعبير عن إهتمام الاسلام بعلاج هذه الجريمة ، ففي هذه الآية يظهر الحرص كل الحرص والاحتياط الكامل من الزنا وذلك بعدم الاقتراب منه .

ولكن ماذا لو وقعت جريمة الاعتداء على النفس بالزنا ؟ . يقول رب العالمين : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِيَ فَأَجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) . وتحمل هذه الآية الكريمة المعني الكامل الذي تهدف إليه الشريعة الاسلامية . وهو ردع كل من تسول له نفسه أن يرتكب هذه الجريمة . وهذا يظهر من قوله تعالى : ﴿وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . فالعقاب كما رأينا في موضوع قتل النفس ، وكما هو الحال في حالة الزنا ، وكل الجرائم ، هو عقاب وجزاء له أهداف أكبر من الايذاء البدني أو المادى أو المعنوى الذى يقع على مرتكب الاعتداء . فهو يهدف

(١) سورة الاسراء ، آية رقم ٣٢

(٢) سورة النور . آية رقم ٢

بصفة عامة إلى منع الاعتماد على الحقوق مستقبلاً سواء كان تكرار من الجاني نفسه أو من غيره . ثم هو يهدف ثانياً إلى تعويض المعتدى عليه سواء مادياً أو معنوياً ، ويهدف ثالثاً إلى تطهير الجاني وراحة نفسه بعد توقيع العقوبة عليه . ورحمة من رب العالمين شرع لهم في القرآن الكريم ما يساعد على التخلص من الشعور بالاثم وبالتالي التمتع بالسعادة الحقيقية ولكن لم يكن ذلك في تحليل الحرام كما يريد الفيلسوف « برتراند راسل »^(١) وإنما في فرض عقوبات على من يرتكب الحرام .. فالعقوبة - في رأينا - كما جاء بها الاسلام هي الوسيلة الوحيدة التي تطهر الانسان من الاثم وتعيد إليه السعادة التي فقدتها بعد ارتكابه الاثم . وفي الحياة أمثلة لا تحصى على ذلك ، فكم من مرتكب لاثم لم يره أحد ، بل واتهم غيره بارتكابه ، فهو بذلك قد اطمأن إلى أنه لن يصيبه بعد ذلك أى أذى مادياً أو معنوياً أو أدبياً ، ورغم ذلك نجده قد إندفع إلى الاعتراف بما إقترف ، وليس ذلك الا ليعود إلى إستقراره الفطرى .. ولا شك أن في ذلك سعادته وطمأنينة نفسه .

وفي الحديث الذى رواه الامام مسلم رضي الله عنه أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهي حبلى من الزنا فقالت : يا رسول الله أصبت حداً فأقنه على ، فدعا نبي الله ﷺ ولها فقال : « أحسن إليها فاذا وضعت فأنتي ، ففعل فأمر بها نبي الله ﷺ فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها . فقال له

(١) انظر مقالنا بمجلة رابطة العالم الاسلام - جادى الأول ١٤٠١ هـ .

عمر : تصلى عليها يا رسول الله وقد زنت ؟ قال : « لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل » . فهذه المرأة ما الذى جعلها تذهب لتعترف بما إقترفت رغم أنه لم يشهد عليها أحدا ، وهى تعلم أنها سوف تقتل . لقد أرادت أن تتخلص من الاثم فلم تجد إلا أن يطبق عليها الحد حتى ولو كان في ذلك نهاية حياتها . وهناك قصة مشابهة ومشهورة في أحاديث الرسول ﷺ وهى قصة « ماعز » .

ويقرن الله عز وجل بين الزنا وبين الشرك فيقول : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ ^(١) . وفي هذه الآية ترهيب من جريمة الزنا ، فالزنا ليس شأن المؤمنين وهو محرم عليهم ، والزاني لا يزني حين يزني وهو مؤمن .

وقد جاء في روضة المحبين ونزهة المشتاقين للإمام ابن القيم : « والزنا يجمع خلال الشرك لها ، من قلة الدين وذهاب الورع ، وفساد المروءة . وقلة الغيرة ، فلا تجد زانياً معه ورع ، ولا وفاء بعهد ، ولا صدق في حديث ، ولا محافظة على صديق ، ولا غيرة تامة على أهله ، فالغدر والكذب والخيانة وقلة الحياء وعدم المراقبة وعدم الأنفة للحرمة وذهاب الغيرة من القلب من شعبه وموجباته ، ومن موجباته غضب الرب بافساد حرمه وعياله ، ولو تعرض رجل إلى ملك من الملوك بذلك لقابله أسوأ مقابلة . ومنها سواد الوجه

(١) سورة النور : آية رقم ٣

وظلمته وما يعلوه من الكآبة والمقت الذى يبدو عليه للناظرين . ومنها ظلمة القلب ، وطمس نوره « وهو الذى أوجب طمس نور الوجه ، وغشيان الظلمة له ، ومنها الفقر اللازم ، وفي أثر يقول الله تعالى : إِنَّ اللَّهَ مَهْلِكُ الطَّغَاةِ ، ومفقر الزناة . ومنها أنه يذهب حرمة فاعله ويسقط من عين ربه ومن أعين عباده المؤمنين . ومنها أنه يسلبه أحسن الأسماء ، وهو إسم العفة والبر والعدالة ، ويعطيه أضدادها كاسم الفاجر والفسق والزاني والحائن » (١) . وحد الجلد أو الرجم في جريمة الزنا لا يطبق جزافاً ، فهو إما بالاقرار أو الشهود العدول أو بظهور الحمل على المرأة (٢) فبالنسبة للاقرار فإن الزنا يثبت باقرار العاقل البالغ على نفسه بالزنا أربع مرات ، كلما أقر مرة رده القاضي وزجره عن إقراره ، وأظهر كراهته لذلك . هذا في مذهب أبوحنيفة وأحمد أما الشافعى ومالك فيكتفيان بالاقرار مرة واحدة . « ويستحب للإمام في حد الزني أن يلحق المقر بالرجوع عن إقراره ، وهو مندوب إليه . فلو أقر بالزنا ثم رجع عن إقراره سقط عنه الحد ، سواء كان الرجوع قبل الشروع في حده لم يجلد ولم يرجم ، وإن كان بعد الشروع فيه بعدما أخذه السياط أو الحجارة ، كف عن الجلد أو الرجم ولم يتمم ، ذكر العلة أو لم يذكرها » « وكذلك يكون الحكم لو هرب المقر أثناء الحد » وقد اتفق على ذلك الأئمة الأربعة . أما بالنسبة للشهود فلا بد أن يكونوا أربعة شهود عدول يشهدوا بفعل الزني ذاته فيشهدوا أنهم رأوا

(١) غذاء الألباب - الشيخ محمد السغاريني .

(٢) حد الزني في الشريعة الاسلامية - د . محمد رشيد قباني .

فرجه في فرجها ، كالمرود في المكحلة ، في وقت واحد ورؤية واحدة . أما الحالة الثالثة وهى ظهور الحمل على امرأة لا يعرف لها زوج ، فانها تسأل فان ادعت أنها أكرهت أو وطئت بشبهة أو لم تعترف بالزنا فانها لا تحد ، ذهب إلى ذلك الشافعى وأبوحنيفة وإبن حنبل أما عند مالك فلا تقبل دعواها الغصب إلا بقرينة . ويبدو أن حد الرجم لم يقتصر على البشر في البخارى عن عمرو بن ميمون الأودى قال ^(١) : « رأيت في الجاهلية قرداً زنا بقردة ، فاجتمع عليها القروء فرجموها حتى ماتا ، وكنت فيمن رجمهما » . والزنا من الكبائر فقد عرض الرسول ﷺ الذنوب الكبار في حديثه الشريف عندما سأله رجل قال : يا رسول الله أى الذنوب أكبر عند الله قال : « أن تدعوا لله نداً وهو خلقك » قال : ثم أى فقال : « ثم أن تقتل ولدك أن يطعم معك » قال ثم أى قال : « ثم أن تزني بجليلة جارك » ، فأنزل الله عز وجل تصديقها ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاماً﴾ ^(٢) .

وتكون جريمة الزنا في أبشع صورها إذا تم الاعتداء على نساء المجاهدين الذين خرجوا في سبيل الله فعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم وما من رجل من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم الا وقف له يوم القيامة فيأخذ من

(١) غذاء الألباب - الشيخ محمد السفاريني .

(٢) صحيح البخاري .

عمله ما شاء» (١)

والزنا كله حرام ولا فرق بين الزنا مع امرأة حرة أو غير حرة وفي حديث المصطفى ﷺ يأمر بعدم إكراه الجوارى على الزنا . فعن أبي سفيان عن جابر أن جارية لعبد الله بن أبي سلول يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة . فكان يكرههما على الزنا فشكنا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله : ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إلى قوله غفور رحيم ﴿٢﴾ .

والاسلام لا يعاقب هذه العقوبات - التي تبدو للبعض قاسية - إلا بعد أن وجه الانسان وأرشده إلى الصواب وإلى حماية نفسه من الوقوع في الخطأ والانحراف . والله لم يحرم الانسان من لذة في الحرام إلا وقد فتح الطريق أمامه إلى الاستمتاع بها في الحلال . ولذلك فإن الاسلام قد أمرنا بالزواج ويسره وحث عليه دفعا للزنا وحصنا للفروج . ولذلك فإن القرآن الكريم قد أوضح أن النكاح لا يرتبط بالغني ولا بالفقر . فالله قادر على أن يغني الفقراء ويفقر الأغنياء ، فيقول عز وجل ﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم أن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم﴾ (٣) ، ويقول ﷺ « لرجل تزوج ولو بخاتم من حديد » (٤) . وقد زوج ﷺ رجلاً بما حفظ من القرآن الكريم أما من لم يستطع

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) سورة النور ، آية رقم ٣٢

(٤) صحيح البخاري

الزواج فيقول رب العالمين ﴿فليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله﴾^(١) ويعالج الرسول ﷺ هذه القضية فيقول « من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطيع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »^(٢) .

ونظراً لخطورة جريمة الزنا وشدة العقوبة والنتائج فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالأشهاد عليها حتى توقع العقوبة وحتى لا يتهم أحد في عرضه دون بينة ولذلك يقول الله عز وجل ﴿أن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾^(٣) ولم يقتصر الأمر على اللعنة في الدنيا واللعنة في الآخرة وإنما فرض الله عز وجل عقوبة بدنية في الدنيا أيضاً على من يدعى وقوع الزنا دون أن يأتي بأربعة شهود فقال : ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾^(٤) . ويقول الرسول ﷺ في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال »^(٥) ويعلمنا ﷺ كيف نتى الشبهات ونحافظ على العرض فعن أنس رضي الله عنه قال : « ان النبي ﷺ كان مع إحدى نسائه فمر به رجلاً ، فدعاه فجاء فقال « يا فلان هذه زوجتي فلانة » فقال : يا رسول

(١) سورة النور ، آية رقم ٣٣

(٢) صحيح البخاري

(٣) سورة النور . آية رقم ٢٣

(٤) سورة النور . آية رقم ٤

(٥) صحيح مسلم

الله من كنت أظن به فلم أكن أظن بك . فقال ﷺ « أن الشيطان
يجرى من الانسان مجرى الدم » . (١)

والشريعة والأحكام طالما أنها من عند الله لذلك فلا يمكن أن
يشوبها قصور أو غفلة أو نسيان . بل لا بد وأن يكون الشمول
والرحمة والحكمة هو اطارها ومضمونها . لذلك نجد أن الشريعة
الاسلامية قد حرمت الزنا وأمرت بالزواج ورغبت فيه ، ثم جاءت
بالوسائل اللازمة لتحقيق ذلك ، وتحقيق ما أمر به الله من عدم
الاقتراب من الزنا . فشرع الله لنا ما يساعدنا على كل ذلك فأمر
المؤمنين والمؤمنات بغض البصر وحفظ الفرج ، ووضع بالتفصيل
القواعد التي تحكم إبداء الزينة للمرأة وملابسها ومشيتها فيقول
سبحانه وتعالى ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا
فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات
يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ما
ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدن زينتهن إلا
لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو
إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني اخواتهن أو نساءهن أو ما ملكت
إيمانهن أو التابعين غير أولى الاربعة من الرجال أو الطفل الذين لم
يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من
زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ (٢) .
ويستمر القرآن الكريم في عرض أساليب الوقاية من الزنا فيأمر

(١) صحيح مسلم .

(٢) سورة النور : آية رقم ٣١/٣٠

أحكم الحاكمين بالاحتشام للنساء والبنات فيقول سبحانه وتعالى :
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ بِدِينِنَ عَلَيْهِنَ مِنْ
جَلَابِيْبِهِنَّ ذَلِكَ أَذْنِي أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَآ يُؤْذِينَ﴾ ^(١) وتعليقاً على الآيتين
السابقتين - لا أقول أنني أتحدى - بل أقول أن الإسلام يتحدى أن
يطبق المؤمنين والمؤمنات ما جاء بهاتين الآيتين بالاضافة إلى الأخذ
بحد الزنا ثم يجدوا أثراً لهذا الوفاء في مجتمعاتهم .

هذا هو التشريع الاسلامى لحماية النفس من أى نوع من أنواع
الاعتداء ، تشريع شامل جامع يأخذ بأسباب الوقاية ثم العلاج .
يتدرج في الوقاية والعلاج لجرمة القتل من مداراة السلاح إلى عدم
حملة إلى القصاص والقتل . ويتدرج في الوقاية والعلاج لجرمة الزنا
من الاحتشام وعدم إبداء الزينة وإلى غض البصر إلى الزواج ثم
الجلد والرجم . وهذه كلها رعاية من الله لنفس الانسان .

(١) سورة الاحزاب ، آية رقم ٥٩

الفصل الخامس

الحقوق المتعلقة بالمال

- ١ - الزكاة والصدقات
- ٢ - الاكتناز واتلاف المال والاعتداء على مال الغير
- ٣ - الدين والأمانة

المال مال الله بنص الآية الكريمة ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي أَتَاكُمْ﴾^(١) . وقد استخلف الله الانسان في ماله بنص الآية الكريمة ﴿وَانْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾^(٢) .

وطالما أن المال مال الله ونحن مستخلفون فيه لذلك فقد وضع الله سبحانه وتعالى لنا مجموعة من الأحكام والضوابط والتوجيهات والارشادات للتصرف فيه والمحافظة عليه ، خاصة وأن للمال فتنة يقول رب العالمين ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾^(٣) ، وللمال شهوة كما يقول أيضاً ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ﴾^(٤) . والانسان لا يقنع بما لديه من مال مهما أوتي منه فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن لابن آدم مائاً واد مائاً لأحب أن يكون إليه مثله . ولا يملأ نفس ابن

(١) سورة النور . آية رقم ٣٣

(٢) سورة الحديد . آية رقم ٧

(٣) سورة التغابن . آية رقم ١٥ . وسورة الانفال . آية رقم ٢٨

(٤) سورة آل عمران . آية رقم ١٤

آدم إلا التراب . والله يتوب على من تاب » ^(١) وقد يتلى الانسان في ماله كما يقول سبحانه وتعالى : ﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ﴾ ^(٢) . ومن المال ما قد يكون عذاباً على صاحبه فيقول عز وجل ﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وترهق أنفسهم وهم كافرون ﴾ ^(٣) . وأيضاً فإن المال زينة لقول الله عز وجل : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ ^(٤) .

ولكل ذلك جاءت أحكام المال في القرآن الكريم شاملة لكل شيء (للأنفاق والصدقات والزكاة والبخل والاكتناز والفقر والوصية والارث والربا وأكل المال بالباطل والسرقة والدين والتبذير والاسراف والاتلاف والتقتير) ثم أعطى القرآن الكريم إهتماماً خاصاً بمال اليتيم . كل هذا في آيات بينات محكمات من عند رب العالمين . وسوف نتناول في هذا الفصل بعض الأحكام المتعلقة بالمال في الشريعة الاسلامية لاثهار نظرة الاسلام لحقوق الانسان المتعلقة بالمال ، وكيف أتي الاسلام بما يحفظ على الانسان ماله ، ويحفظه وهو من مال غيره .

ومن أحكام المال في الاسلام ما يتعلق بـ :

١ - الزكاة والصدقات .

(١) صحيح مسلم

(٢) سورة آل عمران : آية رقم ١٨٦

(٣) سورة التوبة : آية رقم ٥٥

(٤) سورة الكهف ، آية رقم ٤٦

الفصل الخامس

الحقوق المتعلقة بالمال

- ١ - الزكاة والصدقات
- ٢ - الاكتناز واتلاف المال والاعتداء على مال الغير
- ٣ - الدين والأمانة

المال ، البالغ العاقل غير المحجور عليه ، فعليه نفقة زوجته التي تزوجها زواجاً صحيحاً إذا دخل بها وهي ممن توطأ وهي غير ناشز ، وسواء كان لها مال أو لم يكن . واتفقوا أيضاً على أن « من كان بهذه الصفة فعليه القيام برضاع ولده ، إن لم يكن للرضيع أم أو لم يكن لأمه لبن ، ولم يكن للرضيع مال . وعليه الانفاق على ولده وإبنته الذين لم يبلغا ولا لهما مال حتي يبلغا . واتفق العلماء أيضاً على : « أنه يلزم الرجل من النفقات التي ذكرنا ، ما يدفع الجوع من قوت البلد الذي هو فيه ، ومن الكسوة ما يطرد البرد ، وتجاوز فيه الصلاة » . وأيضاً اتفقوا على أن « من لزمته نفقة ، فقد لزمته كسوة المنفق عليه واسكانه » . ويقول سبحانه وتعالى للرسول ﷺ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ، قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَأَلْوَالِدِينَ الْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (١) ويقول أيضاً : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنَ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) . وبين الله عز وجل من أبواب الانفاق أيضاً : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ . تَعْرِفُهُمْ بِسْمَاهُمْ لَا يُسْأَلُونَ النَّاسَ الْحَافَاءُ ﴾ (٣) .

ويحدثنا الرسول ﷺ بما يحجب إلى قلوبنا الانفاق على الضعاف

(١) سورة البقرة ، آية رقم ٢١٥

(٢) سورة التوبة ، آية رقم ٦٠

(٣) سورة البقرة ، آية رقم ٢٧٣

من أرامل ومساكين وجواري فيقول : « من عال جاريتين حتي تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو »^(١) وضم أصابعه . ومن أبواب الانفاق أيضاً التي يوجهنا إليها ديننا الحنيف اعتاق الرقاب . ولا شك أن في ذلك قمة الاستفادة من المال في إعطاء الحقوق الكاملة للانسان فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل أرب منها إرباً منه من النار »^(٢) وقد اتفق العلماء على أن « الرجوع في الوصايا جائز ما لم يكن عتقا »^(٣) .

والانفاق فرض على المسلم القادر عليه ومن لم يقدر فلا اثم عليه لأن الله سبحانه وتعالى لا يكلف نفساً الا وسعها ، وفي ذلك المعني يقول رب العالمين : ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله . لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً ﴾^(٤)

والانفاق لا بد أن يكون من مال حلال إكتسبه الانسان بطريق مشروع . فالله سبحانه وتعالى لا يقبل إلا الطيب . فالمال المكتسب من حرام لا تصلح منه الصدقة ولا يعطى الله عليه أجراً والانفاق يجب أن يكون من أجود ما يمتلكه الانسان ، فلا يصح أن يتصدق الانسان بما فسد من ماله أو طعامه أو شرابه . وفي هذا نجد

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) مراتب الاجاع - ابن حزم

(٤) سورة الطلاق ، آية رقم ٧

قول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا انْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(١) .
فالشئ الذى لا يقبله الانسان لنفسه لا يليق به أن يقدمه ويتصدق به على الآخرين .

والانفاق خير ، ولا ينفع الخير إذا أعقبه شر وأذى . فالأذى يفسد ما يفعله الانسان من خيرات ولذلك فان الانفاق إذا لم يتبعه من ولا أذى أثاب الله عليه أجر عظيم فيقول سبحانه وتعالى ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّْا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢) .
ولكن إذا تبع الانفاق من أو أذى فان ذلك يبطل الصدقات لقول الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾^(٣) ويقول أيضاً ﴿قُلْ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾^(٤) وأن ما يزيد من ثواب الصدقات إخفاؤها وعدم الاعلام عنها ويرشدنا رب العالمين ورسوله الكريم إلى ذلك فمن آيات الله تعالى : ﴿إِنْ تَبَدُّوا لَكُمْ فَسَعَاءٌ لَكُمْ وَلَئِنْ تَحْفَرُوا لَكُمْ فَسَعَاءٌ لَكُمْ وَلَئِنْ تَكْفُرُوا عَنْهَا فَسَعَاءٌ لَكُمْ وَلَئِنْ تَعْمَلُونَ خَيْرًا فَمِمَّا تَحْفَرُوا﴾^(٥) . وفي الحديث المشهور عن النبي ﷺ أن من

(١) سورة البقرة ، آية رقم ٢٦٧

(٢) سورة البقرة ، آية رقم ٢٦٢

(٣) سورة البقرة ، آية رقم ٢٦٤

(٤) سورة البقرة ، آية رقم ٢٦٣

(٥) سورة البقرة ، آية رقم ٢٧١

الفصل الخامس

الحقوق المتعلقة بالمال

- ١ - الزكاة والصدقات
- ٢ - الاكتناز واتلاف المال والاعتداء على مال الغير
- ٣ - الدين والأمانة

يتصدق به يأخذه المولى عز وجل . ثم يطمأنا النبي ﷺ على أموالنا بعد أن نخرج منها الصدقات فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما نقصت صدقة من مال . وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً . وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله » (١) .

إن هذه الأحكام الكريمة السامية التي شرعها الاسلام ورغب بها المسلمون وشجعهم على الانفاق واعطاء الصدقات للفقراء والمحتاجين ، جعلت الكثير من المسلمين يميلون إلى إنفاق كل ما يملكون حتي يأخذون أعظم الثواب من الله - ولكن الاسلام دين لا يصلح شيء بافساد آخر ، فالجتمع عنده جسد متكامل لا بد من رعاية كل أعضائه لذلك فلم يؤد الاسلام الانسان الذي يتصدق بجميع ماله ويترك من يعولهم عائلة على الآخرين . وقد جاء رجل للنبي ﷺ فقال : « إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ . قال ﷺ أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك » (٢) . وفي حديث آخر عن جابر ابن عبد الله قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل بمثل البيضة من ذهب فقال : يا رسول الله خذها صدقة ، فوالله لا أملك غيرها . فأعرض عنه رسول الله ﷺ . ثم أتاه من بين يديه وقال : « هاتها » مغضباً فأخذها منه ، ثم حذفه بها بحيث لو أصابته لأوجعته ، ثم قال : « يأتيني أحدكم بماله لا يملك غيره ثم يجلس ليتكفف الناس . إنما الصدقة عن ظهر غني ، خذها لا حاجة لنا فيها » (٣) .

(١) صحيح صحيح مسلم

(٢) صحيح البخاري

(٣) رواه ابو داود والحاكم

الفصل الخامس

الحقوق المتعلقة بالمال

- ١ - الزكاة والصدقات
- ٢ - الاكتناز واتلاف المال والاعتداء على مال الغير
- ٣ - الدين والأمانة

الناس أموالهم تكثرا فانما يسأل جمرا فليستقل أو ليستكثر»^(١)
وعن حمزة بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال :
« لا تزال المسألة بأحدكم حتي يلقي الله وليس في وجهه مزعة لحم »^(٢).

الاكتناز واتلاف المال :

إكتناز المال تعطيل له عن أداء وظيفته في خدمة مصالح المسلمين . وقد حرم الاسلام « الاكتناز » ووعد من يكتنزه بعذاب أليم فقال عز وجل : ﴿الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾^(٣) وعن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : إن أحدكم ليخرج بصدقة من عندي متأبطها وإنما هي له نار . قال عمر : يا رسول الله كيف تعطيه وقد علمت أنها له نار ؟ قال : « فما أصنع ؟ يأبون الا مسألتي ويأبى الله عز وجل لي البخل »^(٤).

أما إتلاف المال فيحذر منه الاسلام . ومن أثلف أموال الناس أثلفه الله . أما من حافظ عليها وأنفقها فيما حده الله من أبواب الخير فانه في أعلى المنازل عند الله . يقول الله عز وجل : ﴿ولا تؤولوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما﴾^(٥) ثم يقول رسول الله

(١) صحيح صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) سورة التوبة ، آية رقم ٣٤ .

(٤) صحيح مسلم

(٥) سورة النساء ، آية رقم ٥ .

صلى الله عليه وسلم : « من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله » ^(١) ويقول أيضاً « أن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال » ^(٢) ويقول ﷺ عن منازل الرجال فيما يتعلق بالمال « إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول : لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء .

وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل . وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول : لو أني لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء » ^(٣) .

الاعتداء على حق الانسان في ماله :

إن المال كما قلنا في أول هذا الفصل فتنه وزينة . وله شهوة قد يثيرها الشيطان في نفوس البعض ويزين لهم الاعتداء على أموال الآخرين بالسرقة أو بالاغتصاب أو بالربا أو بالباطل . وصيانة من الله لنفس الانسان وماله المسلمين شرع من الأحكام ما يحقق ذلك .

(١) صحيح البخاري

(١) صحيح البخاري

(١) رواه الترمذي - انظر كتاب رياض الصالحين ص ٣٠٣/٣٠٤ حديث رقم ٥٥٦

الباب الستون في الكرم والجود والانفاق .

لذلك فرض أحكم الحاكمين على السارق عقوبة مادية في الدنيا .
فأمر سبحانه بقطع يد السارق فيقول عز وجل : ﴿ والسارق
والسارقة فأقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز
حكيم ﴾ (١) . ومن المعروف أن جريمة السرقة لا تتم بدون إستخدام
السارق ليد في السرقة . ولذلك كانت العقوبة مباشرة على ما
استعان به السارق في السرقة .

ونظراً لشدة عقوبة السرقة فانها لا تطبق في الاسلام إلا إذا
توافرت شروط معينة : (٢)

الشرط الأول : أخذ المال على وجه الاختفاء والاستتار .
الشرط الثاني : أن يبلغ المال المسروق النصاب الموجب لقطع اليد .
الشرط الثالث : أن يكون المال المسروق مالاً لا شيئاً يؤكل أو
يشرب على تفصيل وارد في كتب الأحكام .
الشرط الرابع : أن يكون المال المسروق محرراً .
الشرط الخامس : إنتفاء شبهة وجود حق ما للسارق في المال
المسروق

الشرط السادس : ثبوت السرقة . وذلك بالاقرار أو شهادة رجلين
مسلمين حرين عدلين .

وشرط قبول شهادتهما أن يصفيا السرقة والحرز وجنس النصاب
وقدره .

الشرط السابع : أن يطالب صاحب المال أو وكيله بما سرق منه .

(١) سورة المائدة . آية رقم ٣٨

(٢) حد السرقة في الشريعة الاسلامية - الشيخ محمد بن عبدالله بن سبيل .

الشرط الثامن : أن يكون الجاني بالغاً عاقلاً غير مكروه .

ورغم أن هناك إختلافاً واتفاقاً بين الأئمة والعلماء في تفاصيل بعض الشروط السابقة إلا أن هناك إتفاقاً على^(١) : « أنه من سرق من حرز ، من غير مغنم ولا من بيت المال ، بيده لا بآلة ، وحده منفرداً ، وهو بالغ عاقل مسلم حر في غير الحرم بمكة ، وفي غير دار الحرم فسرق من غير زوجته ومن غير ذى رحمه ، ومن غير زوجها إن كانت امرأة ، وهو غير سكران ولا مضطر ولا مكروه ، فسرق مالاً متملكاً يحل للمسلمين بيعه ، وسرقه من غير غاصب له ، وبلغت قيمة ما سرق عشرة دراهم من الورق المحض ، بوزن مكة ، ولم يكن لحماً ولا حيواناً مذبوحاً ولا شيئاً يؤكل أو يشرب ، ولا طيراً ولا صيداً ولا كلباً ولا سنوراً ولا زبلاً ولا عذرة ولا تراباً ولا زرنياً ولا حصي ولا حجارة ولا فخاراً ولا ذهباً ولا قصباً ولا خشباً ولا فاكهة ولا حماراً ولا حيواناً سارحاً ولا مصحفاً ولا زرعاً من فدانه ، ولا تمرأ من حائطه ، ولا شجراً ولا حرأ ولا عبداً يتكلم ويعقل ، ولا أحدث فيه جناية قبل إخراجه له من مكان لم يؤذن له في دخوله من حرزه ، وتولى إخراجه من حرزه بيده ، فشهد عليه بكل ذلك شاهدان رجلان ، ولم يختلفا ولا رجعا عن شهادتهما ، ولا أدعى هو ملك ما سرق ، وكان سالم اليد اليسرى وسالم الرجل اليميني ، لا ينقص منها شيء ، ولم يهبه المسروق منه ما سرق ، ولا ملكه بعد ما سرق ، ولا رد السارق على المسروق منه ، ولا أعاده

(١) مراتب الاجماع - ابن حزم .

السارق ، وحضر الشهود على السرقة ولم يمض للسرقة شهر ، وجب عليه حد السرقة » .

ومما سبق نرى أن العقوبة على السارق والسارقة لم تكن - كما يدعى البعض - قاسية . لم تأخذ في الاعتبار مصلحة المجتمع . بل هي عقوبة لازمة ولا غني عنها إذا أريد حماية مال المسلمين . وهي عقوبة عادلة ليس فيها جور أو نجس . وهي عقوبة مانعة رادعة . إنها عقوبة فرضها العزيز الحكيم الذي خلق الانسان ويعلم ما يفسده وما يصلحه .

وعقوبة قطع يد السارق - كسائر العقوبات الاسلامية - لا تفرق بين شخص وآخر أياً كان مركزه الاجتماعي أو جنسيته أو لونه أو غير ذلك من الفروق . . وقصة المرأة المخزومية معروفة كدرس من رسول الله ﷺ للمسلمين . ففي حديث عن عائشة رضي الله عنها : « أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم رسول الله ﷺ وقالوا من يجترأ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ فكلم رسول الله فقال أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فخطب قال أيها الناس إنما ضل من قبلكم إنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » (١) .

ولم يترك الرسول ﷺ أمته دون توجيه وتحذير من جميع ما يمس حقوق الناس ومنها حقوقهم في أموالهم . فقبل العقوبة كان

(١) صحيح البخاري

التشريع من الله والتوجيه من رسوله فعنه ﷺ قال : « لا يحلبن أحد ماشية أمرىء بغير إذنه أيجب أحلكم أن تؤتي مشربته فتكسر خزانته فيقتل طعامه ، فانما تخزن لهم ضرور مواشيهم أطعمتهم . ولا يحلبن أحد ماشية أحد إلا باذنه » (١) . ويقول أيضاً : « من أخذ من الأرض شيئاً من غير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أراضين » (٢) . وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال : « من اقتطع حق أمرىء مسلم بيمينه فقد أوجب له النار وحرّم عليه الجنة » فقال له رجل : إن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ قال : « وإن قضياً من أراك » (٣) .

ويباح للمسلم أن يقاتل دون ماله فاذا قتل كان شهيداً فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي ؟ قال فلا تعطه مالك قال : أرأيت إن قاتلني ؟ قال : « قاتله » قال أرأيت ان قتلني ؟ قال : « فأنت شهيد » قال أرأيت ان قتلته ؟ قال « هو في النار » (٤) .

أكل المال بالباطل :

أكل المال بالباطل أمر لا يقبله الانسان السوى . فهو ظلم

(١) صحيح البخاري

(٢) صحيح البخاري

(٣) صحيح مسلم

(٤) صحيح مسلم

واضح فاضح واعتداء على حقوق الغير . وقد نهانا الله عز وجل عن أكل المال بالباطل : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١) ويقول : إن هذا المال حلوة من أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو ، ومن أخذه بغير حقه كان الذي يأكل ولا يشبع ﴿ (٢) .

ويظهر أكل المال بالباطل في أكثر من مجال منها مجال البيع والشراء ومجال التعامل بالربا ، ومجال الوصية على مال اليتيم ، ومجال الرشوة . وغير ذلك . ويجب أن يتقي المسلم ربه في مال غيره . ففي البيع والشراء يقول ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ، رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم ، ورجل منع فضل ماء ، فيقول الله اليوم أمنعتك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك » (٣) . وعن حكيم بن حزام قال عن النبي ﷺ قال : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا . فإن صدقا وبينا بوركما لهما في بيعهما . وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما » (٤) ويقول أيضاً : « من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ هو عليها فأجر لقي الله وهو عليه غضبان » (٥) . وفي حديث آخر يبين ﷺ أنه

(١) سورة البقرة ، آية رقم ١٨٨

(٢) صحيح البخاري

(٣) صحيح البخاري

(٤) صحيح مسلم

(٥) صحيح البخاري .

الفصل الخامس

الحقوق المتعلقة بالمال

- ١ - الزكاة والصدقات
- ٢ - الاكتناز واتلاف المال والاعتداء على مال الغير
- ٣ - الدين والأمانة

أما في مجال الوصية على مال اليتيم فيتعاطف ذنب آكل مال اليتيم لشدة هذا الجرم . فيصور الله لنا أبشع صور العذاب لآكل مال اليتيم فيقول سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾^(١) ويقول أيضاً ﴿وَاتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدِلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حُبًّا كَبِيرًا﴾^(٢) . وبأمرنا سبحانه وتعالى بمراعاة مال اليتيم حتي يبلغ أشده فيقول : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾^(٣) وبين لنا أن نرد المال لليتيم طالما أصبح رشيداً وقادراً على المحافظة على ماله دون إتلاف أو مضرة فيقول سبحانه وتعالى : ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(٤) .

وأخيراً فإن الرشوة صورة من صور أكل المال بالباطل تحمل بالنسبة للمرتشي كل معاني الذلة والاحتقار ولذلك جاء تصوير القرآن الكريم للرشوة أبلغ تصوير فقال تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْأَثَمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٥) . فكلمة تدلوا بها إلى الحكام تبين إنخفاض

(١) سورة النساء ، آية رقم ١٠

(٢) سورة النساء ، آية رقم ٢

(٣) سورة الانعام ، آية رقم ١٥٢ وسورة الاسراء ، آية رقم ٣٤

(٤) سورة النساء ، آية رقم ٦

(٥) سورة البقرة ، آية رقم ١٨٨

يد المرتشي رغم علو مكانة صاحبها في المجتمع . فالرشوة دائماً تكون مدفوعة من صاحب حاجة ، وأخذ الرشوة هو شخص له سلطان ما على قضاء هذه الحاجة ولقد لعن الله أطراف الرشوة جميعاً فقال ﷺ في حديث رواه أحمد والترمذي وابن حبان « لعنة الله على الراشي والمرتشي في الحكم » وعن ثوبان في حديث رواه الامام أحمد والحاكم : قال : « لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي والرائش » . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بعث رسول الله ﷺ عبدالله بن رواحة إلى اليهود ليقدر ما يجب عليهم في نخلهم من خراج ، فعرضوا عليه شيئاً من المال يبذلونه له ، فقال لهم : « فأما ما عرضتم من الرشوة فهي سحت وانا لا نأكلها » ^(١) . وفي حديث متفق عليه : أن رسول الله ﷺ بعث والياً يجمع الصدقات . فلما جاء إلى الرسول أمسك بعض ما معه وقال : هذا لكم وهذا لي هدية ، فغضب النبي وقال : « ألا جلست في بيت أبيك وبيت أمك حتي تأتيك هديتك إن كنت صادقاً ؟ ثم قال : « مالى استعمل الرجل منكم فيقول : هذا لكم وهذا لي هدية ؟ ألا جلس في بيت أمه ليهدي له . والذي نفسي بيده ، لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حق الا آتي الله يحمله . فلا يأتين أحدكم يوم القيامة بيعير له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تبعر ثم رفع يديه حتي رأى بياض أبطيه ثم قال : « اللهم هل بلغت » .

(١) صحيح مسلم .

الدين والأمانة :

المال هو وسيلة التعامل بين البشر . والتعامل يترتب عليه وجود « الدين » . والدين حق للدائن على المدين واجب الأداء عند أجله . وقد أمرنا الله تعالى بكتابة الدين مهما كان صغيراً والأشهاد عليه وهذا باب من أول أبواب حفظ الحق في المال ، ومواجهة بعض صفات الانسان من حب للمال ونسيان أو إنكار أو ظلم أو تقتير . فقال رب العالمين في آيتين جامعتين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخُسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْلِكَ هُوَ فَلْيَمْلِكْ لَهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ أَحَدُهُمَا فَتَذَكَّرَ أَحَدُهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَى الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دَعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ إِلَّا أَنْ تَكْتُبُوهَا وَاشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارُ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَلَا تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿١﴾

(١) سورة البقرة ، آية رقم ٢٨٢/٢٨٣ .

ويشدد الاسلام على الوفاء بالدين إلى أبعد الحدود فعن عبد الله بن عمر بن العاص قال قال رسول الله ﷺ : « القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين » ^(١) . وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : « كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ أتى بجنازة فقالوا صل عليها يا رسول الله فقال ﷺ هل عليه دين ، قالوا لا ، قال فهل ترك شيئاً قالوا لا . فصلى عليه . ثم أتى بجنازة أخرى فقالوا يا رسول الله صلى عليها قال هل عليه دين ؟ قيل نعم . قال فهل ترك شيئاً قالوا ثلاثة دنائير . فصلى عليه . ثم أتى بالثالثة فقالوا صل عليها يا رسول الله . قال فهل ترك شيئاً ؟ قالوا لا قال فهل عليه دين قالوا ثلاثة دنائير قال صلوا على صاحبكم . قال أبو قتادة صل عليه يا رسول الله وعلى دينه فصلى عليه » ^(٢) . وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يؤتي بالرجل المتوفي عليه الدين فيسأل هل ترك لدينه فضلاً فان حدث إنه ترك لدينه وفاء صلى وإلا قال للمسلمين صلوا على صاحبكم . فلما فتح الله عليه الفتوح قال أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفي من المؤمنين وترك ديناً فعلى قضاءه ومن ترك مالا فلورثته » ^(٣) .

ومن الأمور المرتبطة بالدين « نظرة الميسرة » فمقابل التشديد على وفاء المدين بالدين كان الترغيب في إنتظار الدائن على المدين إلى أن يوفي دينه من ميسرة ولا يضيق عليه ولا يرغمه فقال الله تعالى :

-
- (١) صحيح مسلم .
(٢) صحيح البخاري .
(٣) صحيح البخاري .

﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾^(١) ويقول ﷺ : « تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم قالوا أعملت من الخير شيئاً قال كنت آمر فتياي أن ينظروا أو يتجاوزوا عن المعسر قال فتجاوزوا عنه وقال أبوالمالك عن ربي كنت أيسر على الموسر وأنظر المعسر »^(٢) والأمانة مثل الدين واجبة الوفاء عند الطلب . ولا بد من صيانتها والحفاظة عليها فيقول سبحانه وتعالى : ﴿إن الله يأمركم أن تأدوا الأمانات إلى أهلها﴾^(٣) الآية . والخادم أو الخازن مطالب بأن يكون أميناً على ما لديه ويقول ﷺ : « الخازن المسلم الأمين الذي ينفذ ورعاً قال يعطى ما أمر به كاملاً موفوراً طيب به نفسه فيدفعه إلى الذي أمر به أحد المتصدقين »^(٤) وقد بين ﷺ أن عدم تأدية الأمانة علامة من علامات النفاق فعنه قال « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان »^(٥) .

الاسراف والتبذير - والبخل والتقتير :

والاسلام يحارب التطرف والانحراف فهو دين القسط والاعتدال لذلك فقد نهى الاسلام عن الاسراف والتبذير من ناحية كما نهى عن البخل والتقتير من ناحية أخرى . وقد بين القرآن الكريم أن البخل شراً وليس خيراً كما يعتقد البخيل . فيقول أكرم الأكرمين :

(١) سورة البقرة « آية رقم ٢٨٠

(٢) صحيح البخاري

(٣) سورة النساء ، آية رقم ٥٨

(٤) صحيح البخاري

(٥) صحيح البخاري

﴿ولا يحسن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شراً لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾^(١) ويقول أيضاً :
﴿ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فنكم من يبخل فأنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء﴾^(٢) . والله ذم البخل وهو لا يجب من يأمر الناس بالبخل وكما نهى الاسلام عن البخل نهى أيضاً عن التبذير ووصف المبذرين بأنهم اخوان الشياطين .
وبين في هذا الموقف صفة الكفر في الشيطان وفي هذا من المعاني ما فيه فقال تعالى : ﴿وأت ذا القربي حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً﴾^(٣) . وبين الله صفة من صفات عباد الرحمن فقال :
والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾^(٤) ويأمر الله عز وجل بعدم الاسراف حتي في الأكل والشرب فقال : ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾^(٥) . ويجمع الله بين النهي عن البخل والتبذير بقوله :
﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾^(٦) . وقد روى البخاري أن النبي ﷺ كان يحبس لأهله قوت ستة .

(١) سورة آل عمران . آية رقم ١٨٠

(٢) سورة محمد . آية رقم ٣٨

(٣) سورة الاسراء . آية رقم ٢٧/٢٦

(٤) سورة الفرقان . آية رقم ٦٧

(٥) سورة الاعراف . آية رقم ٣١

(٦) سورة الاسراء . آية رقم ٢٩

الارث والوصية :

من الأحكام التي وردت بالتفصيل في القرآن الكريم أحكام الارث والوصية وذلك لما يرتبط بها من حقوق كثيرة لعدد من ذوي القربي . وقد وجهنا الرسول ﷺ إلى كتابة الوصية فقال : ﴿ ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي به يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده ﴾ (١) . وأمر رب العالمين بالوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين . (٢) ثم نسخ الله من ذلك ما شاء وجعل للذكر مثل حظ الانثيين وبين حق الوالدين والزوج والزوجة في الميراث في ثلاث آيات بينات من سورة النساء : ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلث ما ترك وإن كانت واحدة فلهما النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين . آبائكم وأبنائكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا من الله إن الله كان عليماً حكيماً . ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين . وهن الربع مما تركن إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثلث مما تركن من بعد وصية توصون بها أو دين . وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصي بها

(١) صحيح البخاري

(٢) سورة البقرة . آية رقم ٢٩

أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حكيم ﴿١﴾ .
﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة أن امء هلك ليس له ولد
وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فان كانتا
إثنتين فلهما الثلثا مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل
حظ الانثيين بين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم ﴾ (٢) .

وفرض الرؤوف الرحيم رزقاً لأولى القربي واليتامى والمساكين
الذين يحضرون القسمة فقال : ﴿ وإذا حضر القسمة أولى القربي
واليتامى والمساكين فأورزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً ﴾ (٣) . ولا
يحل لوالد أن يحرم بعض أولاده من الميراث : لا يحل له أن يحرم
الاناث أو يحرم أولاد زوجة غير محظية عنده . كما لا يحل لقرب أن
يحرم قريبه المستحق من الميراث بحيلة يصطنعها . فان الميراث قرره
الله بعلمه وعدله وحكمته ، وأعطى به كل ذي حق حقه ، وأمر
الناس أن يقفوا فيه عند ما حدده وشرعه . فمن خالف هذا النظام في
تقسيمه وتحديدده فقد اتهم ربه بعدم معرفته لخلقه وما ينفعهم .

(١) سورة النساء . آية رقم ١٢/١١

(٢) سورة النساء . آية رقم ١٧٦

(٣) سورة النساء . آية رقم ٨

الفصل السادس الحقوق الاجتماعية

- ١ - حقوق الوالدين
- ٢ - حقوق الأولاد
- ٣ - الحقوق بين الزوجين
- ٤ - حقوق الأقارب واليتامى والمساكين وابن السبيل
- ٥ - الحقوق بين الخادم وسيده
- ٦ - الحقوق بين الحاكم والمحكوم
- ٧ - الحقوق بين الضيف وصاحب الدار
- ٨ - حقوق المرأة في الاسلام

الحقوق الاجتماعية هي الأصل في حقوق الانسان . فهي حقوق الناس جميعاً من خلال وظائفهم الاجتماعية .

حقوق الوالدين ، وحقوق الزوجين ، وحقوق الأولاد ، وحقوق الأقارب والجيران والأصدقاء ، وحقوق الخادم والأجير والحاكم والأمير ، وحقوق اليتيم ، وحقوق الضيف . لكل هؤلاء جميعاً حقوق وعليهم واجبات وبين الاسلام كل ذلك من خلال آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة . وبصفة عامة تحكم علاقة المسلم بمجموعة من الأحكام الاسلامية فعن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » (١) ، وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعطني . قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال : أما علمت أن عبدي فلان مرض فلم تعده . أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني . قال يا رب وكيف أطعمك ؟ وأنت رب العالمين . قال أما علمت أنه استطعمتك عبدي فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني . قال يا رب كيف أسقيك ؟ وأنت رب العالمين . قال استسقاك عبدي فلان

(١) صحيح مسلم .

فلم تسقه . أما أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي » ^(١) وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية . ومن قتل تحت راية عمية يغضب للعصبة ويقاتل للعصبة فليس من أمي . ومن خرج من أمي على أمي يضرب ببرها وفاجرها لا يتحاش من مؤمنها ولا يني بذي عهدا فليس مني » ^(٢) .

وسوف نتناول بعض الجوانب من الحقوق الاجتماعية في الاسلام فيما يلي :

حقوق الوالدين :

الوالدان من حيث وضعهما الاجتماعي هما المركز الأول . وقد قرن الله سبحانه وتعالى بين عبادته وعدم الاشراك به وبين الاحسان بالوالدين فقال : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً ﴾ ^(٣) . ويزيد ذلك تفصيلاً ويقول جل شأنه : ﴿ وقضي ربك الا تعبد إلا إياه وبالوالدين إحساناً أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ﴾ ^(٤) . هكذا يصور القرآن الكريم الاحسان للوالدين ، ويبين أن هذه اللفظة « أف » التي قد تعبر عن بعض الضيق يجب ألا تقال

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) سورة النساء . آية رقم ٣٦

(٤) سورة الاسراء . آية رقم ٢٣

لوالدين برّاً بهما خاصة في الكبر . ويوصي رب العالمين الانسان بوالديه ويقرن بين شكر العبد لربه وشكره للوالدين فيقول : ﴿ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير﴾ ^(١) . وهذا القرآن بين شكر العبد لربه وشكره لوالديه فيه ما فيه من رفع لشأن الوالدين وتكريمهم . وقد بين رب العالمين في صدر هذه الآية أن من موجبات شكر الوالدين ما عانت أمه في حمله وارضاعه وما أصابها من مشقة ووهن .

ومن بر الوالدين المحافظة على كرامتها وشرفها وعدم التسبب في لعنها . فإن لعن الوالدين من الكبائر فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل : يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب الرجل أبا الرجل ، فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » ^(٢) . ولقد قدم رسول الله ﷺ القيام على خدمة الوالدين ورعايتهم على الجهاد في سبيل الله فعن أبي العباس ، عن عبدالله بن عمرو قال : قال رجل للنبي ﷺ : أجاهد ؟ قال : لك أبوان ؟ قال : نعم قال : ففيهما فجاهد » ^(٣) .

ومما يشق على نفس الوالدين أن يتنكر الابن لهما أو يدعى لغيرهما . لذلك فقد حرم الاسلام ذلك واعتبره كفراً أعادنا الله من

(١) سورة لقمان . آية رقم ١٤

(٢) صحيح البخاري

(٣) صحيح البخاري

ذلك فقال ﷺ : « ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه الا كفر . ومن ادعى قوماً ليس منهم فليتبوا مقعده من النار » ^(١) . وعن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال : « من ادعى أبا في الاسلام غير أبيه ، يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » ^(٢) . وقال أيضاً : « من أعظم الفرى أن يدعى رجل لغير أبيه أو يرى عينيه ما لم ترى أو يقول على رسول الله ما لم يقل » ^(٣) .

وبر الوالدين يمتد أثره إلى مودة أصدقائهم فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه » ^(٤) . ونظراً لما تعانیه الأم في الحمل والرضاعة ، وتكريماً من الاسلام لها ولدورها هذا جعل حقها في حسن معاملة الابن لها سابق على حق الوالد ^(٥) . ففي حديث مشهور عن الرسول ﷺ عندما جاءه رجل وقال يا رسول الله من أحق بحسن صحابتي ؟ قال أمك ، قال ثم من ؟ قال أمك ، قال ثم من قال أمك ، قال ثم من ؟ قال أبوك » ^(٦) . وعلى أى الحالات فالأولاد لا يجزون أبويهم

(١) صحيح صحيح البخاري . (٢) صحيح مسلم .

(٣) صحيح البخاري

(٤) رواه مسلم .

(٥) لقد نص القرآن الكريم على أن للرجال على النساء درجة وذلك لمسئولية الرجال عن الاتفاق على الأسرة واعالة جميع أفرادها بما فيهم الزوجة . مما يدل على أن الدرجة التي رفعها الاسلام للرجل عن المرأة كانت لطبيعة المهمة الملقاة على الرجل وليس لسبب آخر . الدليل على ذلك ما أورده الرسول ﷺ في هذا الحديث من رفع للأم ثلاث درجات عن الأب في مقام الاحسان اليها من الأبناء . وذلك نظراً لأن طبيعة المهمة التي يتم على أساسها التفضيل قد تغيرت من اعالة الأسرة الى الحمل والرضاعة وتربية الأولاد .

(٦) رواه البخاري .

إلا في حالة واحدة جاءت في حديث رسول الله ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يجرى ولد والدًا إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه »^(١) . فدون ذلك لا يستطيع الانسان مها فعل أن يوفي حق والديه .

حقوق الأولاد :

في مقابل الوالدين وواجبات الأولاد نحوهم نجد حقوقاً للأولاد وواجبات على الوالدين نحوهما ، وتبدأ الحقوق منذ الطفولة بالحضانة والرعاية والنفقة . فيقول الله عز وجل : ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة لولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان أراد افصالاً عن تراضي منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير.﴾^(٢)

ومن حق الولد الانتساب لأبيه ، ومن واجب الوالد عدم انكار إبنه . يقول في ذلك فضيلة الشيخ يوسف القرضاوى في كتابه الحلال والحرام في الاسلام « الولد سر أبيه ، وحامل خصائصه ، وهو في قرّة عينه ، وهو بعد مماته امتداد لوجوده ، ومظهر لخلوده . يرث منه الملامح والسمات ، والخصائص والمميزات ، يرث الحسن

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة البقرة ، آية رقم ٢٣٣ .

منها والقبیح ، والجید والردی . هو بضعة من قلبه ، وفلذة من كبده . لهذا حرم الله الزنا ، وفرض الزواج ، حتي يصون الانساب ، ولا تختلط المياه ، ويعرف الولد من أبوه ، ويعرف الوالد من بناته وبنوه ؟ فبالزواج تختص المرأة بزوجه ويحرم عليها أن تخونه ، أو تسقي زرعه بماء غيره . وبذلك يكون كل من تلدهم في فراش الزوجية أولاد زوجها . بدون أن يحتاج ذلك إلى إقرار أو إعلان من الأب أو دعوى من الأم فالولد للفراش كما قال رسول الاسلام .

ومن هنا لا يحل للزوج أن ينكر نسب ولد ولدته وزوجه في فراشه أى في حالة قيام زوجية صحيحة بينهما . فان إنكاره هذا يلحق أكبر الضرر وأقبح العار بالزوجة والولد فلا يباح له الاقدام عليه لشك عارض أو وهم طارئ أو اشاعة خبيثة . أما إذا جزم بأن امرأته خانت بأدلة تجمعته لديه ، وقرائن لا يستطيع أن يدفعها عن نفسه ، فان شريعة الاسلام لم ترض أن تدعه يرى من يعتقد أنه ليس بابن له ، ويورث من لا يرثه في رأيه ، أو على الأقل يكون فريسة للشك طول حياته . وقد جعلت الشريعة له مخرجاً من ذلك بما عرف في الفقه باسم « اللعان » فن تأكد أو ظن ظناً راجحاً أن زوجته قد لوثت فراشه بماء غيره وجاءت بولد منه وليس له بينة على ذلك ، فله أن يرفع ذلك إلى القاضي ويجرى القاضي بينها الملاءنة التي فسرهما القرآن الكريم في سورة النور : ﴿ والذين يرمون أزواجهن ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان

من الكاذبين ويدراً عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴿^(١)﴾ ثم يفرق بينها إلى الأبد ويلحق الولد بأمه .

ومن حق الأولاد أيضاً عدم قتلهم من الفقر أو من خشية الفقر فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾ ^(٢) . وفي تفسير قوله تعالى : ﴿من إملاق﴾ قال ابن عباس رضي الله عنها ^(٣) : (هو الفقر أى لا تقتلوه من فقركم الحاصل ، أى لا تقتلوه خوفاً من الفقر في الآجل ، ولهذا قال هناك : ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ فبدأ برزقهم للاهتمام بهم أى لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله وأما هنا فلما كان الفقر حاصلاً قال : ﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾ لأنه الأهم وهنا والله أعلم) .

ومن حقوق الأولاد أيضاً أن يحملهم آبائهم بظلم اقترفوه ، ولذلك يبين الله لعباده أهمية عدم الظلم حتى لا ينعكس على ذريتهم فيقول : ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾ ^(٤) .

ومن أهم حقوق الأولاد العدل بينهم فالعدل مطلوب في كل شيء وتعاظم أهميته بين الأولاد حتى لا نورث لهم البغضاء وتنسب في قطع صلة الرحم . يقول ﷺ « اعدلوا بين أبنائكم .

(١) سورة النور ، آية رقم ٧ . (٢) سورة الانعام ، آية رقم ١٥١ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير للشيخ محمد على الصابوني .

(٣) سورة النساء ، آية رقم ٩ .

اعدلوا بين أبنائكم . اعدلوا بين أبنائكم » (١) . هكذا كررها ﷺ
ثلاثة . وعن النعمان ابن بشير قال تصدق على أبي بيعض ماله فقالت
أمى عمرة بنت رواحة : لا أرضي حتي تشهد رسول الله ﷺ
فانطلق أبي إلى النبي ﷺ ليشهده على صدقي فقال له رسول الله
ﷺ « أفعلت هذا بولدك كلهم ؟ » قال : لا . قال : « اتقوا الله
واعدلوا في أولادكم » فرجع أبي فرد تلك الصدقة » . (٢)

والابن أولى بمال أبيه سواء في الانفاق عليه وتربيته أو حتي في
الصدقة التي يخرجها الوالدان فيقول ﷺ : « خير الصدقة ما كان
عن ظهر غني وأبدأ بمن تعول » (٣) .

الحقوق بين الزوجين :

حفظ الحقوق بين الزوجين هو الأساس في حماية المجتمع من أي
إنحراف أو إنحلال . والعلاقة بين الزوجين هي من أخطر العلاقات
الاجتماعية لذلك فقد اهتم الاسلام بها وبين الحقوق والواجبات
المتبادلة بين الزوجين وبين ﷺ في خطبة الوداع جانباً رئيسياً من
هذه الحقوق فيقول : « أيها الناس فان لكم على نساءكم حقاً ولهن
عليكم حقاً . لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه وعليهن
ألا يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن
في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح فان إتيتهن فلهن رزقهن

(١) رواه احمد والنسائي وأبو داود .

(٢) صحيح مسلم .

(٣) صحيح البخاري .

وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً فانهن عندكم عوان لا
يملكن لأنفسهن شيئاً وانكم إنما اتخذتموهن بأمانة الله واستحللتم
فروجهن بكلمات الله . » ^(١)

ومن الحقوق المتبادلة أيضاً بين الزوجين أن يحفظ كل منهما سر
الآخر ولا يذيعه وقد بين الرسول ﷺ أن من أشر الناس الزوج أو
الزوجة إذا أذاع أحدهما سر الآخر فعن أبا سعيد الخدري قال : قال
رسول الله ﷺ : « إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة
الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرهما . » ^(٢)

ومن أحكام الاسلام بين الزوج وزوجه خاصة إذا حدث بينهما
نزاع أو شقاق أو طلاق قوله تعالى : ﴿واللاتي تخافون نشوزهن
فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا
عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا﴾ ^(٣) . وبذلك فقد عالج
الاسلام بحكمة كاملة من الله سبحانه وتعالى أدق الأمور بأسلوب
متدرج . فإذا ظهرت بوادر العصيان على الزوجة فان الموعظة أولاً ثم
الهجر في المضاجع ثم الضرب غير المبرح هي درجات ثلاث للعلاج
وبيين ﷺ إن التصريح بالضرب لا يعني تجاوز الحد فيقول : « لا
يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها آخر اليوم » ^(٤) وبين الله
تعالى علاج الموقف إذا اشتد الخلاف وخشي من حدوث شقاق

(١) صحيح البخاري .

(٢) صحيح مسلم .

(٣) سورة النساء ، آية رقم ٣٤ .

(٤) صحيح البخاري .

فيقول : ﴿ وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً ﴾ (١) .
والأمر لا يقتصر على الزوجة فرعاً بهمل الزوج في شئون زوجته وأسرته فان خافت الزوجة حدوث مثل ذلك من زوجها بعد أن ظهرت بوادره فيقول عز وجل : ﴿ وان امرأة خافت من بعلها نشووزاً أو اعراضاً فلا جناح عليها أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير ﴾ (٢) . أما إذا وصل الأمر إلى الطلاق فان الصبر والانتظار هما أول مطلب علاجي في هذه الحالة . ولذلك فمن حلف بأن لا يقرب من امرأته فله مهلة أربعة أشهر فان أتاها قبل ذلك استمر الزواج وعليه كفارة اليمين أما بعد ذلك فانه يعتبر اضراماً بالزوجة ويصبح الأمر مستلزماً للطلاق . فاذا تم الطلاق فان على المرأة الانتظار ثلاث حيضات استبراء للرحم وفسحة لاحتمال المراجعة ولا يحل للمرأة أن تكتم ما يكون في رحمها من جنين أو دم حيض . وبعد العدة فمن حق الزوج رد زوجته بغية الإصلاح وللزوجة من الحقوق مثلما عليها من الواجبات بالمعروف وللرجال على النساء درجة نظراً لقيام الرجل برعاية الأسرة والانفاق عليها . وهذه هي الآيات البينات التي تناولت ذلك : ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم . وإن عزموا الطلاق فان الله سميع عليم . والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر .

(١) سورة النساء : آية رقم ٣٥ .

(٢) سورة النساء : آية رقم ١٢٨ .

وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم» (١) .

ويضع العلي القدير من أحكام الطلاق ما يحد منه ولا يجعله مباحاً دون ضوابط حتي يؤخذ مأخذ الجد ويكون علاجاً وليس عقاباً فيقول الله تعالى : ﴿الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ (٢) ثم يقول ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتي تنكح زوجاً غيره﴾ (٣) ويقول أيضاً ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لنعتهن ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه﴾ (٤) .

وليس للرجل سواء كان ولياً أو زوجاً سابقاً أن يمنع المرأة إذا طلقت واستوفت عدتها من الزواج فيقول الله تعالى : ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف﴾ (٥) .

وقد فرض الاسلام للمرأة حقوقاً قبل الزواج فعن أبي هريرة قال قال ﷺ : « لا تنكح الأيم حتي تستأمر ولا تنكح البكر حتي تستأذن » (٦) . ومن الآداب النبوية في مجال الحقوق الزوجية نجد حديث الرسول ﷺ الذي رواه جابر حيث قال قال رسول الله

(١) سورة البقرة - آية رقم ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٢) سورة البقرة - آية رقم ٢٢٩ .

(٣) سورة البقرة - آية رقم ٢٣٠ .

(٤) سورة البقرة - آية رقم ٢٣١ .

(٥) سورة البقرة - آية رقم ٢٣٢ .

(٦) صحيح مسلم .

صلى الله عليه وسلم « إذا قدم أحدكم ليلاً فلا يأتين أهله طروقاً .
حتى تستحد المغيبة وتنشط الشعثة » (١) .

حقوق الأقارب واليتامى والمساكين وابن السبيل :

يشدد الاسلام على صلة الرحم ويحذر من قطعها فيقول ﷺ
في حديثه عن الزهري أن محمد بن جندب بن مطعم أخبره : أن أباه
أخبره أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة قاطع رحم » (٢)
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول
« من سره أن يبسط عليه رزقه أو ينسأ في أثره فليصل رحمه » (٣) .
« وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أن رجلاً قال : يا رسول الله
إن لى قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إليّ وأحلم
عنهم ويجهلون على . فقال : « لأن كنت كما قلت فكأنما تسقهم المل
ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك » (٤) . ويقرر
الاسلام حق الأقارب في الأثر والأولوية في الاحسان والصدقة
وقد جمع الاسلام في آيات كثيرة بين ذى القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل خاصة في مجال الانفاق والصدقة والاحسان فيقول الله
تعالى : ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ
السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ (٥) ثم يقرن سبحانه وتعالى

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح مسلم

(٤) صحيح مسلم

(٥) سورة البقرة : آية رقم ١٧٧

الاحسان بالوالدين بالاحسان لذى القربي واليتامى والمساكين
والجار وابن السبيل فيقول : ﴿وبالوالدين إحسانا وبذى القربي
واليتامى والمساكين والجار ذى القربي والجار الجنب والصاحب
بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم﴾^(١) ثم ينص صراحة أن
لذى القربي والمسكين وابن السبيل حق فيقول عز وجل : ﴿وَأَنزِلْ
ذِي الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا﴾^(٢) . ويقول ﷺ
« الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله والقائم الليل
الصائم النهار »^(٣) . وبعد أن جمع اليتيم مع ذى القربي والمسكين
وابن السبيل في الحق في المال والاحسان أفرد سبحانه لليتيم حكما
خاصاً فقال : ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَأَن
تَخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾^(٤) ويقول ﷺ
« أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا »^(٥) وأشار بأصبعيه السبابة
والوسطى . ويخص سبحانه وتعالى يتامى النساء بآية أخرى فيقول :
﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي
الْكِتَابِ فِي يَتَامَىٰ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن
تَنْكِحُوهُنَّ الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا
تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾^(٦) ويقول عز وجل ﴿فَأَمَّا

(١) سورة النساء ، آية رقم ٣٦

(٢) سورة الاسراء ، آية رقم ٢٦

(٣) صحيح البخاري

(٤) سورة البقرة ، آية رقم ٢٢٠

(٥) صحيح البخاري

(٦) سورة النساء ، آية رقم ١٢٧

اليتيم فلا تقهر»^(١) .

أما الجار فيمكن ما قاله ﷺ : « ما زال يوصيني بالجار حتي ظننت أنه سيورثه »^(٢) وقال أيضاً : « والله لا يؤمن ثلاث مرات قيل من يا رسول الله ؟ قال الذي لا يأمن جاره بوائقه »^(٣) وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه (أو قال لجاره) ما يحب لنفسه »^(٤) . ويقول أيضاً : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره »^(٥) ويقول ﷺ للنساء : « لا تحتقرن جارة لجارتها ولو فرش شاة »^(٦) .

وعن التعاون بين الجيران يقول ﷺ : « لا يمنع جار جاره أن يغرس خشبة في جداره »^(٧) . ويقول رسول الله ﷺ بصفة عامة عن العلاقة بين المسلم والمسلم سواء كان جار أو صديق أو زميل : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث »^(٨) . وفي حديث آخر يقول : « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا »^(٩) . ويقول أيضاً : « لا تحاسدوا ولا

(١) سورة الضحى : آية رقم ٩

(١) صحيح البخاري

(٣) صحيح البخاري

(٤) صحيح مسلم

(٥) صحيح البخاري

(٦) صحيح البخاري

(٧) صحيح البخاري

(٨) صحيح مسلم

(٩) صحيح مسلم

تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض
 وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
 يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . « بحسب
 امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام
 دمه وماله وعرضه » (١) . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
 ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه
 أنا . قال « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن
 أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن عاد منكم
 اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر أنا . فقال ﷺ : « ما اجتمعنا لامرئ
 الا دخل الجنة . » (٢)

الحقوق بين الخادم وسيده :

لقد نال الخادم في ظل الاسلام حقوق لم تعرف من قبل . وقد
 شملت هذه الحقوق الكثير الكثير فمن أسلوب المناداة أو التخاطب
 مع الخادم إلى اطعام الخادم واللباسه مما يطعم ويلبس سيده . إلى
 معاونة السيد لخادمه فيما يسنده إليه من أعمال . فعن أسلوب
 التخاطب يقول ﷺ : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضي
 ربك ، استي ربك ، وليقل سيدي . مولاي . ولا يقل أحدكم
 عبدي أمتي وليقل فتى وفتاتي وغلامي » (٣) . ثم يبين بعد ذلك

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح البخاري

قواعد المعاملة فيقول ﷺ : « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فان لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فانه ولي علاجه » (١) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إذا صنع لأحدكم خادمه طعامه ثم جاءه به ، وقد ولي حره ودخانه فليقعده معه فليأكل فان كان الطعام مشفوها قليلاً فليضع في يده منه أكلة أو أكلتين » (٢) . وقد شهد أبا ذر الغفاري رضي الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسؤل عن ذلك فقال « إني ساببت رجلاً فشكاني إلى النبي ﷺ فقال لي النبي ﷺ أعيرته بأمه ، ثم قال إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم » (٣) . ولذلك اتفق العلماء على (٤) « أن على الرجل الحر والمرأة الحرة نفقة أمتها وعبيدها وكسوتهما واسكانهما ، إذا لم يكن للرقيق صنعة يتكسبان منها .

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة فعن أنس رضي الله عنه قال : « خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف ولا لِمَ صنعت ولا ألا صنعت ؟ » (٥) . ويحرم على السيد أن يتهم خادمه بالتهمة الباطلة فعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « من قذف

(١) صحيح البخاري

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح البخاري

(٤) مراتب الاجماع - ابن حزم .

(٥) صحيح البخاري

مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة الا أن يكون كما قال « (١) .
وفي مقابل ذلك نجد أن هناك حقوقاً على الخادم تجاه سيده
ويشجع ﷺ على الوفاء بهذه الحقوق فيقول : « ثلاثة لهم أجران ،
رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ، والعبد المملوك إذا
أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن
تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله أجران » (٢) .
وبين ﷺ الحق في النصيحة فيقول : « العبد إذا نصح سيده
وأحسن عبادة ربه كان له أجره مرتين » (٣) ويقول أيضاً : « للعبد
المملوك الصالح أجران والذي نفسى بيده لو لا الجهاد في سبيل الله
والحج وبرأى لأحببت أن أموت وأنا مملوك » (٤) . وهناك حقوق
للأجير أهمها اعطائه أجره ويحذر الرسول ﷺ من يستأجر أجيراً
ولا يوفيه أجره فيقول : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى
بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً
فاستوفى منه فلم يعطه أجره » (٥) . فمن كان يريد أن يختصم مع محمد
ﷺ يوم الشفاعة فلا يعطى الأجير حقه .

الحقوق بين الحاكم والمحكوم :

إن أول حقوق الحاكم على المحكومين الطاعة فيقول ﷺ في

-
- (١) صحيح مسلم
 - (٢) صحيح البخاري
 - (٣) صحيح البخاري
 - (٤) صحيح البخاري
 - (٥) صحيح البخاري

خطبة الوداع « أيها الناس اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبداً حبشياً مجدع أقام فيكم كتاب الله » ^(١) وعن يحيى بن حصين قال سمعت جلدتي تحدث أنها سمعت النبي ﷺ يخطب في حجة الوداع فيقول : « ولو استعمل عليكم عبد يقودكم لكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا » ^(٢) ويقول أيضاً : « من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصي الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصي أميري فقد عصاني . » ^(٣) ولكن السمع والطاعة ليست على الإطلاق دون ضابط ولذلك يبين ﷺ حدودها فيقول : « السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » ^(٤) ويقول أيضاً « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » ^(٥) . وعن علقمة بن وائل الحضرمي عن أبيه قال : سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألون حقهم ويمنعون حقنا . فما تأمرنا . فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه . ثم سأله في الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس . فقال رسول الله ﷺ « أسمعوا وأطيعوا فاعليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم » ^(٦) . ويقول أيضاً ﷺ مبيناً أن السمع

(١) صحيح البخاري

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح البخاري

(٤) صحيح البخاري

(٥) صحيح البخاري

(٦) صحيح مسلم

تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض
 وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
 يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . « بحسب
 امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام
 دمه وماله وعرضه » (١) . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
 ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه
 أنا . قال « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن
 أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن عاد منكم
 اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر أنا . فقال ﷺ : « ما اجتمعنا لامرئ
 الا دخل الجنة . » (٢)

الحقوق بين الخادم وسيده :

لقد نال الخادم في ظل الاسلام حقوق لم تعرف من قبل . وقد
 شملت هذه الحقوق الكثير الكثير فمن أسلوب المناداة أو التخاطب
 مع الخادم إلى اطعام الخادم واللباسه مما يطعم ويلبس سيده . إلى
 معاونة السيد لخادمه فيما يسنده إليه من أعمال . فعن أسلوب
 التخاطب يقول ﷺ : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضي
 ربك ، استي ربك ، وليقل سيدي . مولاي . ولا يقل أحدكم
 عبدي أمتي وليقل فتى وفتاتي وغلامي » (٣) . ثم يبين بعد ذلك

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح البخاري

فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (١) . وعن أبي موسى قال :
كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره
قال : « بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا » (٢) .

ويوضح الرسول ﷺ جوانب أخرى من حقوق المحكومين
وواجبات الحاكم . ومنها عدم الغش فيقول ﷺ : « ما من وال
يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم الا حرم الله عليه
الجنة » (٣) . ومنها النصيحة فيقول ﷺ : « ما من عبد استرعاه الله
رعية فلم يحطها بنصيحة الا لم يجد راحة الجنة » (٤) . ومما هو مفيد
ويستحق الإشارة إليه في هذا المجال حديث رسول الله ﷺ عن
الأمانة حيث يقول : « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة . قيل
كيف اضاعها يا رسول الله ؟ قال إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر
الساعة » (٥) . ويرشدنا ﷺ إلى أن لا نحكم بين الناس عند
الغضب فيقول : « لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان » (٦) .
ومن أمور الحكم أيضاً أيضاً « الشورى » وهو مبدأ إسلامي طبقه
الرسول ﷺ كما أراد الله وليس أدل على ذلك من قيام الرسول
ﷺ خطيباً في الناس فحمد الله وأثنى عليه فقال : « ما تشيرون
على في قوم يسبون أهلي ما علمت عليهم من سوء قط ؟ » (٧) .

-
- (١) صحيح مسلم
 - (٢) صحيح مسلم
 - (٣) صحيح البخاري
 - (٤) صحيح البخاري
 - (٥) صحيح البخاري
 - (٦) صحيح البخاري
 - (٧) صحيح البخاري

تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض
 وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
 يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . « بحسب
 امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام
 دمه وماله وعرضه » (١) . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
 ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه
 أنا . قال « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن
 أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن عاد منكم
 اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر أنا . فقال ﷺ : « ما اجتمعنا لامرئ
 الا دخل الجنة . » (٢)

الحقوق بين الخادم وسيده :

لقد نال الخادم في ظل الاسلام حقوق لم تعرف من قبل . وقد
 شملت هذه الحقوق الكثير الكثير فمن أسلوب المناداة أو التخاطب
 مع الخادم إلى اطعام الخادم واللباسه مما يطعم ويلبس سيده . إلى
 معاونة السيد لخادمه فيما يسنده إليه من أعمال . فعن أسلوب
 التخاطب يقول ﷺ : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضي
 ربك ، استي ربك ، وليقل سيدي . مولاي . ولا يقل أحدكم
 عبدي أمتي وليقل فتاى وفتاى وغلامي » (٣) . ثم يبين بعد ذلك

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح البخاري

« يقيم عنده ولا شيء له يقره به » (١) .

حقوق المرأة في الاسلام :

رغم أن حقوق المرأة قد تناولناها من خلال كثير من الحقوق السابقة ، وليس للمرأة حقوق خاصة إلا أننا أردنا أن نذكر تحت هذا العنوان بعض الحقوق التي كانت مسلوقة من المرأة وردھا الاسلام عليها ، وذلك لمواجهة ما يفتره البعض على الاسلام من مقولة استعباد المرأة . وأول مارده الاسلام للمرأة هو حق الحياة ، فحماها الاسلام من القتل بعد أن كانت تؤد وهي طفلة ، ويسود وجه الأب إذا بشر بالأثني . ثم فرض لها الاسلام نصيباً في الميراث بعد أن كان ممنوعاً عليها أن ترث ، بل كانت هي بعض من متاع الرجل « تورث » . قال الله تعالى ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً ﴾ (٢) . ومن الحقوق الأخرى التي بينها الاسلام للمرأة حقها في أن تستأذن قبل الزواج ولا تكره عليه . فقال ﷺ : « لا تنكح الأيم حتي تستأمر ولا تنكح البكر حتي تستأذن » قالوا يا رسول الله وكيف أذنھا ؟ قال : « أن تسكت » (٣) . ورد ﷺ نكاح التي أكرهت ، فعن خنساء بنت خزام الانصارية : أن أباهما زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأنت رسول الله صلى الله

(١) صحيح مسلم

(٢) سورة النساء . آية رقم ٧

(٣) صحيح البخاري

عليه وسلم فرد نكاحها» (١) . وقد أكد الاسلام حق المرأة في الصداق ونهى ﷺ عن الشغار - والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته وليس بينهما صداق - وقال ﷺ : « أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج » (٢) . وأعطى الاسلام للمرأة الحق في العدل بينها وبين نساء زوجها . فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد السفر أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه . وكان ﷺ يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها» (٣) .

وللمرأة الحق الكامل في مالها وقد اتفق العلماء على (٤) « أنه لا يلزم أحداً أن ينفق على غني غير الزوجة » فالزوج متكفل بالانفاق على زوجته ولو كانت غنية وغير محتاجة . واتفق العلماء أيضاً على « أنه لا يحل للرجل أن يتصدق من مال زوجته بغير إذنها » .
ويحببنا الرسول في الاحسان إلى البنات فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « من ابتلى من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار » (٥) . ولا ننسى وصية الرسول ﷺ في حجة الوداع حيث قال أوصيكم بالنساء خيراً . ونختتم هذه الحقوق التي كرم الاسلام بها المرأة بقول الرؤوف الرحيم :

(١) صحيح البخاري

(٢) صحيح البخاري

(٣) صحيح البخاري

(٤) مراتب الاجماع - ابن حزم

(٥) صحيح مسلم

﴿وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً
ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾^(١) .

(١) سورة النساء ، آية رقم ١٩

الفصل السابع

حق الاعتقاد وحكم الارتداد

- ١ - حق الاعتقاد مكفول في الاسلام
- ٢ - شبهات حول حكم الارتداد في الاسلام
- ٣ - مقارنة الأديان
- ٤ - أي شيء سيرتد اليه المسلم عن الاسلام؟
- ٥ - حكم الارتداد في الاسلام ضرورة لحماية حقوق الانسان
- ٦ - الرد على من شكك في حكم الارتداد

تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض
 وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
 يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . « بحسب
 امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام
 دمه وماله وعرضه » (١) . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
 ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه
 أنا . قال « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن
 أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن عاد منكم
 اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر أنا . فقال ﷺ : « ما اجتمعنا لامرئ
 الا دخل الجنة . » (٢)

الحقوق بين الخادم وسيده :

لقد نال الخادم في ظل الاسلام حقوق لم تعرف من قبل . وقد
 شملت هذه الحقوق الكثير الكثير فمن أسلوب المناداة أو التخاطب
 مع الخادم إلى اطعام الخادم واللباسه مما يطعم ويلبس سيده . إلى
 معاونة السيد لخادمه فيما يسنده إليه من أعمال . فعن أسلوب
 التخاطب يقول ﷺ : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضي
 ربك ، استي ربك ، وليقل سيدي . مولاي . ولا يقل أحدكم
 عبدي أمتي وليقل فتى وفتاتي وغلامي » (٣) . ثم يبين بعد ذلك

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح البخاري

ربكم فمن شاء فاليؤمن ومن شاء فاليكفر» (١).

وحق الاعتقاد في الاسلام جاء مثل سائر الحقوق التي حفل بها الاسلام جاء متفقاً مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها . فيقول رب العالمين : ﴿وهديناه النجدين﴾ (٢) ويقول أيضاً : ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾ (٣) ويقول جل شأنه : ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ (٤) . وطالما أن دين الاسلام هو من عند الله وليس من صنع البشر لذلك كان لا بد أن يأتي متفقاً مع فطرة الانسان ومع ما طبع عليه الانسان من خير وشر ، وفجور وتقوى ، وشكر وكفر ، ولا يتفق كل هذا الا مع حرية الاعتقاد . ولقد استأثرت حرية الاعتقاد في الاسلام بسورة كاملة من كتاب الله بخلاف ما جاء عنها متفرقاً من آيات . فيقول سبحانه وتعالى : ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين﴾ (٥) فالحق والحرية كاملة أمام الناس في إعتناق الدين الاسلامى أو غير من الأديان . فالاسلام لا يجبر أحداً على الدخول فيه ، والله سبحانه وتعالى ﴿غنى عن العالمين﴾ . ولكن القضية الأساسية التي نعتزم معالجتها في هذا الفصل إن شاء الله هى قضية « حكم الارتداد في الاسلام » . فالارتداد عن دين الاسلام حكمه أن

(١) سورة الكهف ، آية رقم ٢٩

(٢) سورة البلد ، آية رقم ١٠

(٣) سورة الانسان ، آية رقم ٣

(٤) سورة الشمس ، آية رقم ٨

(٥) سورة الكافرون

يستتاب المرتد فان لم يتب فيقتل . وهذا موضوع استغله بعض المستشرقين وأعداء الاسلام للنيل به من الاسلام . ويستندون إليه فيما يدعونه من تخلف الاسلام عن ركب الحريات في العالم ، ويشيرون في ذلك إلى المادة (١٨) من « الاعلان العالمى لحقوق الانسان » والتي تنص على حرية الاعتقاد بمعنى الدخول في أى دين والخروج منه دون أى ضابط . وهذا الادعاء لا شك فيه إدعاء باطل ، وإن دل على شئ فانما يدل إما على جهل كامل بروح الاسلام وإما أنه يدل على سؤنية مبيتة للنيل من الاسلام ، وقد يكون الأمرين معاً . وقد قرأت رداً لبعض علماء المسلمين المخلصين على هذه الفرية ، وكانت خلاصته : « أن منطق الاسلام لا ينطق من حيث أنه (قيد للحرية في الحق لكل شخص بتغيير دينه) وإنما ينطلق من قمع لمكيدة يهودية حدثت في صدر الاسلام حين أسلم جميع عرب المدينة المنورة واتحد كلمتهم بعد خصومة مسلحة بينهم حاكها اليهود اللاجئون ، ففكر اليهود عندئذ بنجث على أن يدخل بعضهم في الاسلام ثم يرتد عنه ليشكك العرب في دينهم وليضلهم في معتقدهم ، فتولد عن ذلك عندئذ الكم في منع تغيير المسلم لدينه مع العقوبة عليه حتي لا يدخل أحد في الاسلام إلا بعد سبق بحث عقلى وعلمى ينتهى بالعقيدة الدائمة ، وذلك ليقطع الطريق على المضللين وأمثالهم من الدخول في الاسلام تحت طائلة العقوبة ، استئصالاً لعوامل الفساد في الأرض فمن دأبوا على الافساد فيها . ويتضح من منطق الاسلام حول هذه النقطة أنه لا ينطلق من منطق (القيد على الحرية) وإنما من منطق (القمع لمكائد

الكائدين الذين دأبهم الافساد في الأرض) . ولذلك فان الموضوع موضوع إجتهد إسلامي وهو من لوازم حرية الرأي ، ولا يجوز أن يشجب باجتهد آخر ولكل إجتاده ولنا إجتهدنا المعزز بأسبابه التاريخية وحرصنا على أن لا يدخل في الاسلام الا من يعتقد فيه إعتقاداً جازماً ، وفي ذلك متبى الحرمة للعتيدة التي لا يسمح بأن تكون عتيدة سطحية وعرضة لتضليل المضللين » .

وهذا رد جيد ولكنه لا يوقف أعداء الاسلام ويفحم حججهم الباطلة فهم يأخذون هذا الرد ويستنبطون منه ما يعيدون به الكرة على الاسلام ، وما ذلك الا لأن الرد اعتمد على ظروف تطبيق الحكم لأول مرة ولم يستند إلى العلة في الحكم . ولذلك نجد أن من أول ما يواجه به أعداء الاسلام حكم الارتداد على ضوء مثل هذا الرد هو قولهم بأن الظروف التي طبق فيها الحكم قد اختلفت وأصبحت غير موجودة الآن فلا مبرر إذن لاستمرار الحكم ، وطالما أن الحكم كان لمواجهة مكيدة يهودية أخذت شكل فتنة جماعية فلماذا يطبق الحكم على الحالات الفردية والتي لا تمثل خطراً على الاسلام ؟ . إننا إذا اعتمدنا على جانب واحد من الأساس التاريخي لحكم الارتداد فاننا سنواجه بموقف صعب بلا شك وذلك ليس لعدم موافقة الحكم لظروف العصر وإنما لعدم استكمال باقي الجوانب التاريخية للحكم ولعدم البحث وراء العلة في الحكم ، فالأساس التاريخي بمفرده وعلى النحو الوارد في الرد السابق سيؤدي إلى تساؤل حول إمكانية مسايرة أحكام الشريعة الاسلامية بصفة عامة للتقدم والرقى الحضارى . فما معنى أن الاسلام صالح لكل

زمان ومكان إذا لم تكن أحد أحكامه مستندة إلى ضرورة مستمرة من ضرورات الحياة ثم الا يخشي المسلمون أن يدخل أصحاب الديانات الأخرى مثل هذا الحكم في دياناتهم ويدعون بالباطل وليس كما قلنا بحق أن هناك من يكيد لهم ؟ ثم الا يستطيع اليهود الآن أن يكيدوا للإسلام بصورة أشد وأعمق خطراً ودون أن يحتاجوا إلى الدخول في الاسلام ؟ لقد استند البعض إلى الأساس التاريخي لحكم الارتداد ليتصل من تطبيق الحكم إلا إذا إقترن الارتداد بالحراة والفتنة والعصيان . ففي كتاب أركان حقوق الانسان وهو بحث مقارن في الشريعة الاسلامية والقوانين الحديثة للدكتور صبحي المحصاني جاء ما نصه :

« كرس الشرع حرية العقيدة في آيات عديدة ... » ولكن الشرع تحاشي الردة . ومعناها الرجوع عن الاسلام طوعاً . بالقول أو بالفعل . وحكم المرتد أن يعرض عليه الاسلام . لأن الاقرار بالحق يوجب التزام أحكامه . فان لم يتب . كان جزاؤه القتل . وذلك في قول جمهور الفقهاء . عملاً بالحديث الشريف : « من بدل دينه فاقتلوه » . ثم أن هذه العقوبة لا تطبق على المرأة المرتدة في قول الامام أبي حنيفة . وفوق ذلك فقد اعتبر بعض العلماء أن الحديث المنوه به الذي هو من نوع الخبر الواحد يستوجب الشك في صحته لا سيما وأنه يبدو مخالفاً لمعنى الآية الكريمة المتقدم ذكرها والتي تعلن أنه « لا إكراه في الدين » . وكذلك قال مفتي الأندلس ومحدثها محمد بن الفرج القرطبي المالكي . المعروف باسم ابن الطلاع . بأنه لم يقع في شيء من المصنفات المشهورة أن النبي ﷺ عاقب مرتداً أو

زنديقاً بالقتل» « غير أن الردة إذا اتخذت الصفة الجماعية . مقرونة بانشقاق المرتدين وخروجهم عن طاعة الدولة أو بالالتحاق بالعدو . فعندئذ يعتبر عملهم من نوع الفتنة المضرة بالمصلحة العامة . ويحيز قتلهم حتي يتوبوا ويرجعوا إلى إحترام النظام والسلطة . وهذا ما فعله الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه . يوم حارب بعض الأعراب والقبائل عندما إنشقوا عن الدين بعد وفاة النبي ﷺ أو امتنعوا عن أداء فريضة الزكاة . فكان ذلك منهم ثورة وعصياناً وفتنة . ومعلوم أن الفتنة تؤلف خطراً على سلامة الدولة ، وتعد بعبارة القرآن الكريم نفسه ، أشد وأكبر من القتل . فاذن ليست الردة وحدها سبب القتال في هذه الحالة ، بل هي الردة مقرونة بالحرابة والفتنة والعصيان . » هكذا يبرر الدكتور المحمصاني حكم الارتداد في صدر الاسلام ، وعليه فلا قتال للمرتدين - استناداً إلى ذلك - إلا إذا صاحب الارتداد حرابة وفتنة وعصيان وبذلك ينتهي الحكم بالقتل على المرتد الذي لم يتب طالما أنه فرد لم يسعى إلى فتنة .

وأنا لا أدعى لنفسي أنني سأتي بالرد الشافي على من حاج الاسلام في حكم الارتداد ولكني سوف استعين بالله واجتهد مخلصاً لدفع حجة باطلة عن الاسلام واني لأسأل الله تعالى أن يدفع عني بعلمه الخطأ ويدفعني برحمته إلى الصواب .

إن الموضوع يحتاج منا إبتداء إلى نظرة متأنية للمقارنة بين الأديان السماوية الثلاثة ومن خلاصة هذه المقارنة الضرورية سيكون مدخلنا إلى علة حكم الارتداد وأهميته بل وحتميته في الاسلام .

وفي مقارنة الأديان يستلزم الأمر تناول الألوهية ثم الرسل ثم الكتب المنزلة لئلا يرى موقف هذه الرسالات منها . فبالنسبة للألوهية نجد أن جميع الأديان السماوية جاءت بالتوحيد لقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء ٢٥) .

ولكن اتباع الديانة اليهودية والمسيحية قد انحرفوا عن التوحيد إنحرافاً بعيداً فبنوا إسرائيل لم يستطيعوا أن يثبتوا على التوحيد في أى فترة من فترات تاريخهم الطويل . وقد أورد الدكتور أحمد شلبي في كتابه مقارنة الأديان أقوال بعض المفكرين والمؤرخين حول قضية الألوهية عند اليهود . فيقول ريناش أن اليهود اتخذوا بيوتهم أصناماً صغيرة كانوا يعبدونها ويتنقلون بها من مكان إلى مكان .

وأول ما استند إليه لدفع هذا البطلان هو خلاصة ما انتهت إليه الدراسات الموضوعية في مجال مقارنة الأديان والتي يظهر منها :

١ - أن اليهود لم يثبتوا على التوحيد في أى فترة من فترات تاريخهم الطويل . ولم يظهر التوحيد عندهم الا عندما أرادوا أن يميزوا أنفسهم كشعب مختار .

٢ - إن اليهود لم يتركوا لألههم الذى عبدوه أى صفة من صفات الكمال الا وسلبوها منه . فوصفوه بالتحيز والرعونة والضعف وحب اللهو . كما أنهم ادعوا أنه ندم على ما فعله بهم وأنه أمرهم بالسرقة .

٣ - إن اليهود نسبوا إلى أنبياء الله ورسوله أفضع التهم وأقذر

زنديقاً بالقتل» « غير أن الردة إذا اتخذت الصفة الجماعية . مقرونة بانشقاق المرتدين وخروجهم عن طاعة الدولة أو بالالتحاق بالعدو . فعندئذ يعتبر عملهم من نوع الفتنة المضرة بالمصلحة العامة . ويحيز قتلهم حتي يتوبوا ويرجعوا إلى إحترام النظام والسلطة . وهذا ما فعله الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه . يوم حارب بعض الأعراب والقبائل عندما إنشقوا عن الدين بعد وفاة النبي ﷺ أو امتنعوا عن أداء فريضة الزكاة . فكان ذلك منهم ثورة وعصياناً وفتنة . ومعلوم أن الفتنة تؤلف خطراً على سلامة الدولة ، وتعد بعبارة القرآن الكريم نفسه ، أشد وأكبر من القتل . فاذن ليست الردة وحدها سبب القتال في هذه الحالة ، بل هي الردة مقرونة بالحرابة والفتنة والعصيان . » هكذا يبرر الدكتور المحمصاني حكم الارتداد في صدر الاسلام ، وعليه فلا قتال للمرتدين - استناداً إلى ذلك - إلا إذا صاحب الارتداد حرابة وفتنة وعصيان وبذلك ينتهي الحكم بالقتل على المرتد الذي لم يتب طالما أنه فرد لم يسعى إلى فتنة .

وأنا لا أدعى لنفسي أنني سأتي بالرد الشافي على من حاج الاسلام في حكم الارتداد ولكني سوف استعين بالله واجتهد مخلصاً لدفع حجة باطلة عن الاسلام واني لأسأل الله تعالى أن يدفع عني بعلمه الخطأ ويدفعني برحمته إلى الصواب .

إن الموضوع يحتاج منا إبتداء إلى نظرة متأنية للمقارنة بين الأديان السماوية الثلاثة ومن خلاصة هذه المقارنة الضرورية سيكون مدخلنا إلى علة حكم الارتداد وأهميته بل وحتميته في الاسلام .

٨ - أما عن موقف المسلمين من جميع الرسل فهو أمر مرتبط ارتباطاً كاملاً بالآيمان . فلا يؤمن المسلم الا إذا آمن بجميع رسل الله ولم يفرق بين أحد منهم . وإن أول من آمن بجميع الرسل هو رسولنا محمد ﷺ لقوله تعالى : ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ (١) .

٩ - أما عن الكتاب المقدس عند المسلمين فهو القرآن الكريم . وهو محفوظ بحفظ الله وهو معجزة محمد ﷺ إلى يوم البعث . ومع تطور كل عصر وزمان يظهر جانب من جوانب هذه المعجزة ليستمر التحدى ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ . فعند نزول الوحي بالقرآن كان الجانب اللغوى من المعجزة ، فتحدى أرباب اللغة وفحولها . وفي عصر العلم توصل العلماء إلى ما جاء به القرآن من قرون عديدة ، ولم تظهر حقيقة علمية واحدة تتعارض مع القرآن الكريم . وفي هذا العصر ، عصر الأرقام والاحصاء ظهر الجانب الاحصائي والعدي المذهل والتناسق والتناسب الحسابي العجيب في القرآن الكريم (٢) . والله وحده يعلم كم من جوانب أخرى لهذه المعجزة خافية علينا وسيظهرها الله سبحانه وقت يشاء لتستمر المعجزة وتثبت أن القرآن هو من عند الله ولم ولن يناله أحد بسوء .

ويقول ديورانت أن بني إسرائيل لم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكباش والحمل ، ولم يستطع موسى عليه السلام أن يمنعهم من

(١) سورة البقرة - آية رقم ٢٨٥

(٢) الاعجاز العددي للقرآن الكريم - د . عبد الرزاق نوفل .

عبادة العجل الذهبي لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر وظلوا زمناً طويلاً يتخذون هذا الحيوان القوى آكل العشب رمزاً لالههم . وقد كانت الحية معجزة موسى كما هو معروف ، ويروى العهد القديم أن موسى عمل حية من نحاس وأن بني إسرائيل عبدوها بعد ذلك . ويقول ديورانت أيضاً أن اليهود نظروا إلى موسى وهرون على أنهما ساحران ، ومن ثم إنتشر السحر بينهم إلى عهود متأخرة رغم احتجاج الأنبياء والكهنة .

ولم يكتف اليهود بما اتخذوه من آلهة وإنما عبدوا آلهة جيرانهم ويوضح لنا غوستان لويون أن اليهود لم يستعبروا من جيرانهم في الاتجاهات الدينية والاجتماعية الا أخط ما كان عندهم فيقول : « عندما خرج هؤلاء البدويون الذين لا أثر للثقافة فيهم من باديتهم ليستقروا بفلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمة قوية متمدنة من زمن طويل ، فكان أمر كأم جميع العروق الدنيا التي تكون في أحوال مماثلة ، فلم يقتبسوا من تلك الأمم العليا سوى أحسن ما في حضارتها ، أى لم يقتبسوا غير عيوبها وعاداتها ، ودعارتها وخرافتها ، فقبضوا القرابين لجميع آلهة آسيا » .

كذا نرى أن اليهود لم يعبدوا الإله الواحد الخالق ، وما كان التوحيد عندما كان يظهر في دياتهم الا ليخصوا أنفسهم باله واحد ليميزوا أنفسهم كشعب مختار لهذا الاله من دون شعوب الأرض ، ولذلك فلم يكن هذا الاله عندهم كما أمرت به الديانة اليهودية وإنما هو اله غير معصوم من أخطاء البشر وصفاتهم . وأنه لمن سفالة اليهود أن يختاروا الصفات السيئة وينسبونها للآله . وأول ما نسبوا إلى الله

تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض
 وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
 يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . « بحسب
 امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام
 دمه وماله وعرضه » (١) . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
 ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه
 أنا . قال « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن
 أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن عاد منكم
 اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر أنا . فقال ﷺ : « ما اجتمعنا لامرئ
 الا دخل الجنة . » (٢)

الحقوق بين الخادم وسيده :

لقد نال الخادم في ظل الاسلام حقوق لم تعرف من قبل . وقد
 شملت هذه الحقوق الكثير الكثير فمن أسلوب المناداة أو التخاطب
 مع الخادم إلى اطعام الخادم واللباسه مما يطعم ويلبس سيده . إلى
 معاونة السيد لخادمه فيما يسنده إليه من أعمال . فعن أسلوب
 التخاطب يقول ﷺ : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضي
 ربك ، استي ربك ، وليقل سيدي . مولاي . ولا يقل أحدكم
 عبدي أمتي وليقل فتى وفتاتي وغلامي » (٣) . ثم يبين بعد ذلك

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح البخاري

زنديقاً بالقتل» « غير أن الردة إذا اتخذت الصفة الجماعية . مقرونة بانشقاق المرتدين وخروجهم عن طاعة الدولة أو بالالتحاق بالعدو . فعندئذ يعتبر عملهم من نوع الفتنة المضرة بالمصلحة العامة . ويحيز قتلهم حتي يتوبوا ويرجعوا إلى إحترام النظام والسلطة . وهذا ما فعله الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه . يوم حارب بعض الأعراب والقبائل عندما إنشقوا عن الدين بعد وفاة النبي ﷺ أو امتنعوا عن أداء فريضة الزكاة . فكان ذلك منهم ثورة وعصياناً وفتنة . ومعلوم أن الفتنة تؤلف خطراً على سلامة الدولة ، وتعد بعبارة القرآن الكريم نفسه ، أشد وأكبر من القتل . فاذن ليست الردة وحدها سبب القتال في هذه الحالة ، بل هي الردة مقرونة بالحرابة والفتنة والعصيان . » هكذا يبرر الدكتور المحمصاني حكم الارتداد في صدر الاسلام ، وعليه فلا قتال للمرتدين - استناداً إلى ذلك - إلا إذا صاحب الارتداد حرابة وفتنة وعصيان وبذلك ينتهي الحكم بالقتل على المرتد الذي لم يتب طالما أنه فرد لم يسعى إلى فتنة .

وأنا لا أدعى لنفسي أنني سأتي بالرد الشافي على من حاج الاسلام في حكم الارتداد ولكني سوف استعين بالله واجتهد مخلصاً لدفع حجة باطلة عن الاسلام واني لأسأل الله تعالى أن يدفع عني بعلمه الخطأ ويدفعني برحمته إلى الصواب .

إن الموضوع يحتاج منا إبتداء إلى نظرة متأنية للمقارنة بين الأديان السماوية الثلاثة ومن خلاصة هذه المقارنة الضرورية سيكون مدخلنا إلى علة حكم الارتداد وأهميته بل وحتميته في الاسلام .

ولكنها مسيحية المبتدع الكافر يولس الذى قضى على الوحداية وأدخل التثليث ، وقد استغل كل الظروف التي كانت مواتية له في ذلك الوقت ، فاتخذ التثليث عقيدة بين اليهود المتعصبة وبين الوثنية البدائية وقد أورد الدكتور شلي في كتابه مقارنة الأديان بعض أقوال المؤرخين عن يولس منها قول المؤرخ ويلز : « كان القديس يولس من أعظم من أنشأوا - المسيحية الحديثة - وهو لم يرى عيسي قط ولا سمعه يبشر الناس ، وكان إسم يولس في الأصل شاول ، وكان في بادئ الأمر من أبرز وأنشط المضطهدين لفئة الحواريين القليلة العدد ، ثم اعتنق المسيحية فجأة وغير إسمه فجعله يولس ، وقد أوتي ذلك الرجل قوة عقلية عظيمة ، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية ، فتراه على علم عظيم باليهودية والميتراسية وديانة ذلك الزمان التي تعتقها الاسكندرية فنقل إلى المسيحية كثيراً من فكراتهم ومصطلح تعبيرهم ، ولم يهتم بتوسيع فكرة عيسي الأصلية وتنميتها ، وهي فكرة « ملكوت السموات » ولكنه علم الناس أن عيسي لم يكن المسيح الموعود فحسب ، ولا زعيم اليهود الموعود فقط ، بل إنه إبن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر . فموته كان تضحية مثل مئات الضحايا القديمة من الآلهة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاصة البشرية .. » وقد استعارت المسيحية أشياء كثيرة من هذه الديانات كالفسيس الحليق وتقديم النذور ، والهياكل والشموع والتراثيل والتماثيل التي كانت لعقائد متراس والاسكندرية ، تبنت أيضاً حتي عباراتها في عباداتها وأفكارها اللاهوتية وراح القديس

زنديقاً بالقتل» « غير أن الردة إذا اتخذت الصفة الجماعية . مقرونة بانشقاق المرتدين وخروجهم عن طاعة الدولة أو بالالتحاق بالعدو . فعندئذ يعتبر عملهم من نوع الفتنة المضرة بالمصلحة العامة . ويحيز قتلهم حتي يتوبوا ويرجعوا إلى إحترام النظام والسلطة . وهذا ما فعله الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه . يوم حارب بعض الأعراب والقبائل عندما إنشقوا عن الدين بعد وفاة النبي ﷺ أو امتنعوا عن أداء فريضة الزكاة . فكان ذلك منهم ثورة وعصياناً وفتنة . ومعلوم أن الفتنة تؤلف خطراً على سلامة الدولة ، وتعد بعبارة القرآن الكريم نفسه ، أشد وأكبر من القتل . فاذن ليست الردة وحدها سبب القتال في هذه الحالة ، بل هي الردة مقرونة بالحرابة والفتنة والعصيان . » هكذا يبرر الدكتور المحمصاني حكم الارتداد في صدر الاسلام ، وعليه فلا قتال للمرتدين - استناداً إلى ذلك - إلا إذا صاحب الارتداد حرابة وفتنة وعصيان وبذلك ينتهي الحكم بالقتل على المرتد الذي لم يتب طالما أنه فرد لم يسعى إلى فتنة .

وأنا لا أدعى لنفسي أنني سأتي بالرد الشافي على من حاج الاسلام في حكم الارتداد ولكني سوف استعين بالله واجتهد مخلصاً لدفع حجة باطلة عن الاسلام واني لأسأل الله تعالى أن يدفع عني بعلمه الخطأ ويدفعني برحمته إلى الصواب .

إن الموضوع يحتاج منا إبتداء إلى نظرة متأنية للمقارنة بين الأديان السماوية الثلاثة ومن خلاصة هذه المقارنة الضرورية سيكون مدخلنا إلى علة حكم الارتداد وأهميته بل وحتميته في الاسلام .

أبيه قبل العوالم ، كلها ، وليس بمصنوع ، اله حق من اله حق ، من جوهر أبيه الذى بيده اتقنت العوالم ، وخلق كل شىء . من أجلنا ومن أجل معشر الناس ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ، وحبل به وولد من مريم البتول ... وصلب أيام بيلاطوس ، ودفن ، ثم قام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء ، وجلس على يمين أبيه .

« والجامعة المقدسة الكنسية الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه وأنه لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد من لا شىء ، أو من يقول : أن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الأب ، وكل من يؤمن أنه خلق ، أو من يقول أنه قابل للتغيير . »

إذن فلا اليهود ولا المسيحيون وهم على ما هم عليه الآن عرفوا حقيقة التوحيد . أما المسلمون فالحق هو الله الواحد الأحد ، الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد . الله عند المسلمين واحد لا شريك له ليس كمثله شىء ولا تدركه الأبصار ، ولا يحيط أحد به علماً . وهو منزّه سبحانه عن صفات العباد . سبحانه وتعالى عما يشركون علواً كبيراً . ومن نصوص القرآن الكريم في هذا الشأن : ﴿والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ ^(١) ﴿وما من إله إلا إله واحد﴾ ^(٢) ﴿إنما الله إله واحد

(١) سورة البقرة ، آية رقم ١٦٣

(٢) سورة المائدة : آية رقم ٧٣

زنديقاً بالقتل» « غير أن الردة إذا اتخذت الصفة الجماعية . مقرونة بانشقاق المرتدين وخروجهم عن طاعة الدولة أو بالالتحاق بالعدو . فعندئذ يعتبر عملهم من نوع الفتنة المضرة بالمصلحة العامة . ويحيز قتلهم حتي يتوبوا ويرجعوا إلى إحترام النظام والسلطة . وهذا ما فعله الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه . يوم حارب بعض الأعراب والقبائل عندما إنشقوا عن الدين بعد وفاة النبي ﷺ أو امتنعوا عن أداء فريضة الزكاة . فكان ذلك منهم ثورة وعصياناً وفتنة . ومعلوم أن الفتنة تؤلف خطراً على سلامة الدولة ، وتعد بعبارة القرآن الكريم نفسه ، أشد وأكبر من القتل . فاذن ليست الردة وحدها سبب القتال في هذه الحالة ، بل هي الردة مقرونة بالحراية والفتنة والعصيان . » هكذا يبرر الدكتور المحمصاني حكم الارتداد في صدر الاسلام ، وعليه فلا قتال للمرتدين - استناداً إلى ذلك - إلا إذا صاحب الارتداد حراية وفتنة وعصيان وبذلك ينتهي الحكم بالقتل على المرتد الذي لم يتب طالما أنه فرد لم يسعى إلى فتنة .

وأنا لا أدعى لنفسي أنني سأتي بالرد الشافي على من حاج الاسلام في حكم الارتداد ولكني سوف استعين بالله واجتهد مخلصاً لدفع حجة باطلة عن الاسلام واني لأسأل الله تعالى أن يدفع عني بعلمه الخطأ ويدفعني برحمته إلى الصواب .

إن الموضوع يحتاج منا إبتداء إلى نظرة متأنية للمقارنة بين الأديان السماوية الثلاثة ومن خلاصة هذه المقارنة الضرورية سيكون مدخلنا إلى علة حكم الارتداد وأهميته بل وحتميته في الاسلام .

ذلك الا لكثرة مرات شركهم . وكان كلما جاءهم رسول بما لا تهوى
أنفسهم استكبروا فكانوا يكذبوهم ويقتلوهم كما ذكر القرآن
الكريم . ولقد ظل اليهود على عهدهم بالصاق النقائص إلى الله
ورسوله ، فكم من تهمة بشعة ألصقوها بنبي كريم وأولهم أبو الأنبياء
خليل الله إبراهيم فقد جاء في سفر التكوين « إنه عندما قرب إبراهيم
من دخول مصر قال لساراي امرأته : إني قد علمت أنك امرأة
حسنة المنظر فيكون إذا راك المصريون إنهم يقولون هذه امرأته ،
فيقتلونني ويستبقونك ، قولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا
نفسي من أجلك » وعندما دخل مصر أخذت إلى بيت فرعون
وصنع لابرام خيرا بسببها . وضرب الرب فرعون وبيته ضربات
عظيمة بسبب ما رأى امرأة ابرام ، فدعا فرعون إبراهيم وقال لما لم
تخبرني إنها امرأتك ؟ لماذا قلت إنها أختي حتي أخذتها لتكون لي
زوجة والآن هو ذا امرأتك خذها وأذهب » ^(١) . أهذا هو الحق أم
ما قاله القرآن الكريم عن أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام : ﴿ أن
إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين ﴾ ^(٢) وقال (إن
إبراهيم لحليم أواه منيب) ^(٣) وقال (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه
كان صديقاً نبياً) ^(٤) وقال ﴿ واتخذ الله ابراهيم خليلاً ﴾ ^(٥) . وعن
اسحاق ويعقوب عليهما السلام تروى التوراة ^(٦) أن اسحاق تزوج

(١) سورة النحل ، آية رقم ١٢٠

(٢) سورة هود ، آية رقم ٧٥

(٣) سورة مريم ، آية رقم ٤١

(٤) سورة النساء ، آية رقم ١٢٥

(٥) مقارنة الاديان - د . شلي

(٦) مقارنة الاديان - د . شلي

زنديقاً بالقتل» « غير أن الردة إذا اتخذت الصفة الجماعية . مقرونة بانشقاق المرتدين وخروجهم عن طاعة الدولة أو بالالتحاق بالعدو . فعندئذ يعتبر عملهم من نوع الفتنة المضرة بالمصلحة العامة . ويحيز قتلهم حتي يتوبوا ويرجعوا إلى إحترام النظام والسلطة . وهذا ما فعله الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه . يوم حارب بعض الأعراب والقبائل عندما إنشقوا عن الدين بعد وفاة النبي ﷺ أو امتنعوا عن أداء فريضة الزكاة . فكان ذلك منهم ثورة وعصياناً وفتنة . ومعلوم أن الفتنة تؤلف خطراً على سلامة الدولة ، وتعد بعبارة القرآن الكريم نفسه ، أشد وأكبر من القتل . فاذن ليست الردة وحدها سبب القتال في هذه الحالة ، بل هي الردة مقرونة بالحرابة والفتنة والعصيان . « هكذا يبرر الدكتور المحمصاني حكم الارتداد في صدر الاسلام ، وعليه فلا قتال للمرتدين - استناداً إلى ذلك - إلا إذا صاحب الارتداد حرابة وفتنة وعصيان وبذلك ينتهي الحكم بالقتل على المرتد الذي لم يتب طالما أنه فرد لم يسعى إلى فتنة .

وأنا لا أدعى لنفسي أنني سأتي بالرد الشافي على من حاج الاسلام في حكم الارتداد ولكنني سوف استعين بالله واجتهد مخلصاً لدفع حجة باطلة عن الاسلام واني لأسأل الله تعالى أن يدفع عني بعلمه الخطأ ويدفعني برحمته إلى الصواب .

إن الموضوع يحتاج منا إبتداء إلى نظرة متأنية للمقارنة بين الأديان السماوية الثلاثة ومن خلاصة هذه المقارنة الضرورية سيكون مدخلنا إلى علة حكم الارتداد وأهميته بل وحتميته في الاسلام .

عليها السلام ﴿ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا﴾ ^(١) وقال ﴿ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾ ^(٢) وقال ﴿وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين﴾ ^(٣) وقال ﴿أم كنتم شهداء إذا حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آباءك إبراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون﴾ ^(٤) . وعن موسى وهارون عليهما السلام تروى الوراة حادث سرقة بني إسرائيل لخلي المصريين تنفيذاً لوصية الرب التي أوصي بها موسى وبلغها موسى لقومه فعملوا بها . أما هارون فان التوراة تروى إنه استجاب لقومه حينما استبطأوا موسى وطلبوا منه أن يقيم لهم الها يعبدونه فأخذ منهم هارون اقراط الذهب وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً . أمذا هو الحق أم ما جاء في القرآن الكريم عن موسى وهارون عليهما السلام ، ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً﴾ ^(٥) وقال ﴿سلام على موسى وهارون . انا كذلك نجزي المحسنين . إنيما من عبادنا المؤمنين﴾ ^(٦) . أما عن قصة هارون عليه السلام مع بني إسرائيل بعد أن تركهم موسى إلى ميقات ربه فيقول

(١) سورة الانعام ، آية رقم ٨٤

(٢) سورة الانبياء ، آية رقم ٧٢ - ٧٣

(٣) سورة الصافات ، آية رقم ١١٢

(٤) سورة البقرة ، آية رقم ١٣٣

(٥) سورة مريم ، آية رقم ٥١

(٦) سورة الصافات ، آية رقم ١٢٠ - ١٢٢

فيها القرآن الكريم : ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال
بئسما خلقتُموني من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقي الألواح وأخذ
برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إنَّ القوم استضعفوني وكادوا
يقتلونني فلا تسمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾^(١) .
أما عن داود عليه السلام فيروى سفر راغوث قصة نسبه وبين أنه لم
يكر إسرائيلياً خالصاً ويقول د . شلي : « وأهمية هذا النسب
خطيرة بالنسبة للفكر اليهودي فان القوانين اليهودية تعتبر السلالة من
ناحية : الأم هي السلالة التي يعتمد عليها في نقاء الدم اليهودي ،
ويعتبر (غير نظيف) عند اليهود من اختلط دمه ، وغير يهودي من
كانت أمه غير يهودية . وبين الكتاب المقدس^(٢) أن داود أرسل
قائده يواب وجنوده ومن بينهم جندى اسمه أوربا فخبروا بني عمون
وحاصروا ربه وأما داود فأقام في أورشليم وزني بزوجة الجندى
أوربا . وادركت المرأة بعد ذلك أنها حملت من داود فزوجها بعيداً
في المعركة . فأرسلت لداود وأخبرته فأرسل داود إلى قائده يواب
رسالة طلب منه فيها جعل الجندى أوربا في وجه الحرب الشديدة
وتركه ليقتل فنفذ القائد ما أمر به وقتل أوربا ثم ضم داود زوجة أوربا
إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له أبناً هو سليمان . ويختم
الاصحاح هذه القصة بقول : « وأما الأمر الذي فعله داود ففصح في
عيني الرب » . ويتحدث العهد القديم عن حادثة وقعت في بيت
داود وتتلخص في أنه كان لابشالوم بني داود شقيقة جميلة اسمها

(١) سورة الاعراف ، آية رقم ١٥٠

(٣) سورة النمل ، آية رقم ١٥

ثامار أحبها أخ لها من أبيها اسمه أمنون وزني بها ولما عرف شقيقها أبشالوم ذلك دبر مكيدة لقتل أمنون .

أهذا هو الحق أم ما قاله القرآن الكريم عن داود عليه السلام :
﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾^(١) أما عن سليمان عليه السلام فينسب له الكتاب المقدس إنحرافات دينية منها ما جاء في الاصحاح عشر من سفر الملوك الأول :^(٢)

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ، مؤايبات وعمونيات وأدريميات وصيدونيات وحيثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون الهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبهم وراء الهتهم : فالتصق سليمان بهؤلاء بالحبّة وكان له سبعمائة من النساء السيدات ، وثلاثمائة من السراري ، فأملت نسائه قلبه . وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نسائه أملن قلبه وراء الهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب الهه كقلب داود أبيه .

ويستمر الاصحاح في قوله : « فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب اله إسرائيل الذي ترائي له مرتين ، وأوصاه في هذا الأمر ألا يتبع الهة أخرى فلم يحفظ ما أوصي به الرب .
أهذا هو الحق أم ما قاله القرآن الكريم عن سليمان عليه السلام عندما سمع قول النملة وفهمه : ﴿فتبسم ضاحكاً من قولها وقال ربني

(١) مقارنة الاديان - د . شلبي

(٢) مقارنة الاديان - د . شلبي

زنديقاً بالقتل» « غير أن الردة إذا اتخذت الصفة الجماعية . مقرونة بانشقاق المرتدين وخروجهم عن طاعة الدولة أو بالالتحاق بالعدو . فعندئذ يعتبر عملهم من نوع الفتنة المضرة بالمصلحة العامة . ويحيز قتلهم حتي يتوبوا ويرجعوا إلى إحترام النظام والسلطة . وهذا ما فعله الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه . يوم حارب بعض الأعراب والقبائل عندما إنشقوا عن الدين بعد وفاة النبي ﷺ أو امتنعوا عن أداء فريضة الزكاة . فكان ذلك منهم ثورة وعصياناً وفتنة . ومعلوم أن الفتنة تؤلف خطراً على سلامة الدولة ، وتعد بعبارة القرآن الكريم نفسه ، أشد وأكبر من القتل . فاذن ليست الردة وحدها سبب القتال في هذه الحالة ، بل هي الردة مقرونة بالحرابة والفتنة والعصيان . » هكذا يبرر الدكتور المحمصاني حكم الارتداد في صدر الاسلام ، وعليه فلا قتال للمرتدين - استناداً إلى ذلك - إلا إذا صاحب الارتداد حرابة وفتنة وعصيان وبذلك ينتهي الحكم بالقتل على المرتد الذي لم يتب طالما أنه فرد لم يسعى إلى فتنة .

وأنا لا أدعى لنفسي أنني سأتى بالرد الشافي على من حاج الاسلام في حكم الارتداد ولكني سوف استعين بالله واجتهد مخلصاً لدفع حجة باطلة عن الاسلام واني لأسأل الله تعالى أن يدفع عني بعلمه الخطأ ويدفعني برحمته إلى الصواب .

إن الموضوع يحتاج منا إبتداء إلى نظرة متأنية للمقارنة بين الأديان السماوية الثلاثة ومن خلاصة هذه المقارنة الضرورية سيكون مدخلنا إلى علة حكم الارتداد وأهميته بل وحتميته في الاسلام .

﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾^(١) ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلًا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون﴾^(٢) .

وعن الرسل عموماً وآبائهم وذرياتهم واخوانهم يقول القرآن الكريم : ﴿وذلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وكذلك نجزي المحسنين . وذكربا ونحى وعيسى والياس كل من الصالحين . واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين . ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون . أولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين . أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده . قل لا أسئلكم عليه أجراً إن هو الا ذكر للعالمين﴾^(٣) . وقد أمر المسلمون بالايان

(١) سورة المائدة ، آية رقم ٧٥

(٢) سورة النساء ، آية رقم ١٧١ - ١٧٢

(٣) سورة الانعام ، آية رقم ٨٣ - ٩٠

بجميع الرسل وعدم التفرقة بينهم لقوله تعالى : ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْإِسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ^(١) هكذا يكون الايمان بالرسل واحترام قدرهم واتباع ما جاءوا به فقد جاءوا بالحق وقالوا إنا بشر لقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ ﴾ ^(٢) وقوله : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ ^(٣) أما عن الرسول محمد ﷺ عند المسلمين فهو أول من آمن برسول الله لقول رب العالمين : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَأَتْهُ وَكَتَبَتْهُ وَرُسُلَهُ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ ^(٤) .

و محمد ﷺ عند المسلمين بشراً رسولاً لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولا يعلم الغيب ، ولم يكتب له الخلد ، وكان يتزوج النساء وكان يأكل ويشرب ويصوم . وكان يقوم الليل وينام . وكان حريصاً على المؤمنين وبهم رؤوفاً رحيماً . ولم يكن فظاً غليظ القلب . وكانت زوجاته أمهات المؤمنين . وكان على خلق عظيم ، وكان يوحى اليه من الله ما لم يسمع من غيره . وكان لا يتحدث الا بخير . وجاهد في الله حق جهاده . وبلغ رسالة ربه

(١) سورة آل عمران . آية رقم ٨٤

(٢) سورة الاعراف . آية رقم ٤٢

(٣) سورة ابراهيم . آية رقم ١١

(٤) سورة البقرة . آية رقم ٢٨٥

وأدى الأمانة ، ونصح أمته ، ولم يترك خيراً الا ودل أمته عليه ، ولم يدع شراً الا وحذرهم منه ، وقد حارب الشرك وحطم الأصنام ودعى إلى التوحيد ، وكانت أمته خير أمة أخرجت للناس فصلاة الله وسلامه عليه . ومن نصوص القرآن الكريم عن النبي ﷺ قول الله عز وجل آمراً نبيه : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما أحكم إله واحد ﴾ ^(١) وقوله : ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﴾ ^(٢) وقوله : ﴿ قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا ﴾ ^(٣) وقوله : ﴿ قل إني لن ينجيني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا ﴾ ^(٤) وقوله : ﴿ قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا ﴾ ^(٥) . كلها أوامر من الله أن يقول رسوله للناس أجمعين ما معناه أنه بشر ولا حول ولا قوة له إلا بالله العلي العظيم .

أما النقطة الثالثة في هذه المقارنة فهي عن الكتب السماوية المنزلة على السبل . وهما في مجال المقارنة البحث وراءها لأنها الجوهر الذى يعطى للدين شرعية الاستمرار . فالكتاب السماوى ينزل على الرسول بشرع ومنهج يعالج شؤون الدين والدنيا ، فاذا اختفي كتاب أحد الأديان أو حرف للدرجة التي تخفي أحكامه فانه لا معنى لاستمرار الدين ولا فائدة منه إلا إذا كانت هناك فوائد خاصة

(١) سورة فصلت ، آية رقم ٦ وسورة الكهف ، آية رقم ١١٠

(٢) سورة الاعراف ، آية رقم ١٨٨

(٣) سورة الجن ، آية رقم ٢١

(٤) سورة الجن ، آية رقم ٢٢

(٥) سورة الاسراء ، آية رقم ٩٣

لمن حرفوه وأنه لمن مشيئة الله وفي علمه سبحانه ما حدث للديانة اليهودية والمسيحية ، فلم تكن مشيئته حفظ هذه الديانات إلى آخر الزمان والا لحفظت بقدرته - تعالى مهما إمتدت إليها من أيدي وحاولت النيل منها .

لقد كان في علمه الأزلئ أن هناك ديانة أخرى سيرسل بها سبحانه محمد ﷺ لتكون خاتمة الأديان ، وطالما أنه لا دين بعد دين الاسلام فكان لا بد من حفظ هذا الدين . والبشر لا يمكن أن يؤتمنوا على حفظ رسالة سماوية ورسالة خاتمة أراد الله لها أن تستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لذلك تكفل العليم الخبير بحفظها فجاء قوله سبحانه : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾^(١) . فما بالناس برسالة الله حافظها ، وكتاب قال الله عنه : ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾^(٢) . ومحنة هذا الكتاب مع أعدائه إنه كشف ما أرادوا إخفائه فقد كشف القرآن الكريم مقام به أعداء الديانات السابقة من تحريف للكلم عن مواضعه وقد أشار إلى من يكتبون بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً . وهذا التحريف والكتب الموضوعه أشار إليها القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، وقد تم هذا التحريف قبل نزول القرآن الكريم بقرون أيضاً ، فما بالناس بما هو بين أيدي اليهود والمسيحيين الآن من كتب يدعون قداستها . لقد ذكرنا بعض ما وضعوه في كتبهم عن الله وعن الرسل والأنبياء يقول دكتور

(١) سورة الحجر ، آية رقم ٩

(٢) سورة فصلت ، آية رقم ٤٢

شلبي بعد دراسات عميقة وجيدة عن أسفار اليهود كانت خلاصتها : « إتضح لنا أن الفساد سرعان ما تطرق لبني إسرائيل بعد موسى ، واتضح لنا كذلك أن أسفار العهد القديم كتبت متأخرة ، أى في عهد الفساد والاضطراب ، وإن كتابها ليسوا هم الذين اسندت لهم هذه الأسفار وليس الوحي مصدراً لهذه الأسفار ، والنتيجة الواضحة لكل هذه المقدمات أن اليهود كتبوا التوراة إنعكاساً لآخلاقهم ولآمالهم . » وكذا كتبت أسفار العهد القديم باسم الله والله منها برىء ، إنها في الحقيقة صدى لانفعالات اليهود وأحاسيسهم . » ولهذا السبب ولسبب كثرة الكتاب الذين اشتروا في تدوين العهد القديم ، كثرت الأخطاء فيه . »

ولم يبق لنا الآن إلا أن نعرض نصوصاً مما وضعوه في كتبهم لتكون شريعة للبشر ، سنورد بعضها لنرى هل هى شريعة تصلح لذلك . أم هى شريعة لا يمكن أن يقبلها من يعيشون حتى في الغابات .

فيالتلمود يقولون عن العلاقة بين اليهودى وغير اليهودى إن الله لا يغفر ذنباً ليهودى يرد للأُمى (أى لغير اليهودى) ماله المفقود . والربا والغش والخلف الكذب كله مباح مع غير اليهودى ، بل وممنوع أن يقترض اليهودى الأجنبي الا بالربا . ومحرم على اليهودى أن ينجى أحد من الهلاك . بل إذا رأى غير اليهودى يقع في حفرة لزمه أن يسدها بحجر . وفي التلمود أيضاً أن من العدل أن يقتل اليهودى غير اليهودى لأنه بذلك يقرب قرباناً إلى الله . وفيه أن اتيان زوجات الأجانب جائز وكل عقد نكاح عند الأجانب فاسد لأن المرأة التي لم

زنديقاً بالقتل» « غير أن الردة إذا اتخذت الصفة الجماعية . مقرونة بانشقاق المرتدين وخروجهم عن طاعة الدولة أو بالالتحاق بالعدو . فعندئذ يعتبر عملهم من نوع الفتنة المضرة بالمصلحة العامة . ويحيز قتلهم حتي يتوبوا ويرجعوا إلى إحترام النظام والسلطة . وهذا ما فعله الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه . يوم حارب بعض الأعراب والقبائل عندما إنشقوا عن الدين بعد وفاة النبي ﷺ أو امتنعوا عن أداء فريضة الزكاة . فكان ذلك منهم ثورة وعصياناً وفتنة . ومعلوم أن الفتنة تؤلف خطراً على سلامة الدولة ، وتعد بعبارة القرآن الكريم نفسه ، أشد وأكبر من القتل . فاذن ليست الردة وحدها سبب القتال في هذه الحالة ، بل هي الردة مقرونة بالحراية والفتنة والعصيان . » هكذا يبرر الدكتور المحمصاني حكم الارتداد في صدر الاسلام ، وعليه فلا قتال للمرتدين - استناداً إلى ذلك - إلا إذا صاحب الارتداد حراية وفتنة وعصيان وبذلك ينتهي الحكم بالقتل على المرتد الذي لم يتب طالما أنه فرد لم يسعى إلى فتنة .

وأنا لا أدعى لنفسي أنني سأتي بالرد الشافي على من حاج الاسلام في حكم الارتداد ولكني سوف استعين بالله واجتهد مخلصاً لدفع حجة باطلة عن الاسلام واني لأسأل الله تعالى أن يدفع عني بعلمه الخطأ ويدفعني برحمته إلى الصواب .

إن الموضوع يحتاج منا إبتداء إلى نظرة متأنية للمقارنة بين الأديان السماوية الثلاثة ومن خلاصة هذه المقارنة الضرورية سيكون مدخلنا إلى علة حكم الارتداد وأهميته بل وحتميته في الاسلام .

أفنت الأنجيل التي تعارض إنجاء بولس بمبدل مسيحية المسيح وفي مقدمة ذلك إنجيل المسيح ثم ما كتبه الحواريون ولم يكتف بولس بوضع مبادئ المسيحية وشعائرها بل شرع قوانين للمسيحيين يتبعونها في حياتهم العامة . فهو الذى أوصي بما نراه اليوم في الكنائس من التساييح والأغاني الروحية والمزامير والتراتيل . ويقول بعدم وجوب الختان . وقد أورد باحث غربي في ختام دراسته عن الأنجيل العبارة التالية : ^(١) « إن فلسفة الأغريق والقانون الروماني جعل الانجيل لا يمثل حقيقته . كما أثر في تدوينه ، والباحث المنصف في تاريخ الكنيسة لا يستطيع ولا للحظة واحدة أن يفكر أن آراء مزيفة ، وأغراضاً غير كريمة ، ومقاصد خاطئة ، كانت أسباباً رئيسية مسيطرة أحياناً ، دفعت إلى هذا التبديل الذى حدث في الأنجيل » .

والمسيحيون رغم تقديسهم للتوراة فلم يتبعونها . فأحلوا منها ما حرّمته ولم يلزموا حدودها . وغيروا ما شاءوا من نصوص التوراة وأحياناً فسروا التوراة بما يناسب الانجيل . .

والخلاصة بعد الاطلاع على بعض نصوص الكتب المقدسة عند اليهود والمسيحيين نجد أن هذه الديانات لم يبق منها سوى اسمها فقط أما ما أوحاه رب العالمين لرسول هذه الديانات فذهبت حيث يعلم الله فعنه ما نسوه ومنه ما بدلوه ومنه ما أخفوه ومنه ما حرفوه . لذلك نجد أقوال معظم المؤرخين والباحثين وعلماء الدين تؤيد

(١) مقارنة الأديان - د . احمد شلبي .

زنديقاً بالقتل» « غير أن الردة إذا اتخذت الصفة الجماعية . مقرونة بانشقاق المرتدين وخروجهم عن طاعة الدولة أو بالالتحاق بالعدو . فعندئذ يعتبر عملهم من نوع الفتنة المضرة بالمصلحة العامة . ويحيز قتلهم حتي يتوبوا ويرجعوا إلى إحترام النظام والسلطة . وهذا ما فعله الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه . يوم حارب بعض الأعراب والقبائل عندما إنشقوا عن الدين بعد وفاة النبي ﷺ أو امتنعوا عن أداء فريضة الزكاة . فكان ذلك منهم ثورة وعصياناً وفتنة . ومعلوم أن الفتنة تؤلف خطراً على سلامة الدولة ، وتعد بعبارة القرآن الكريم نفسه ، أشد وأكبر من القتل . فاذن ليست الردة وحدها سبب القتال في هذه الحالة ، بل هي الردة مقرونة بالحراية والفتنة والعصيان . » هكذا يبرر الدكتور المحمصاني حكم الارتداد في صدر الاسلام ، وعليه فلا قتال للمرتدين - استناداً إلى ذلك - إلا إذا صاحب الارتداد حراية وفتنة وعصيان وبذلك ينتهي الحكم بالقتل على المرتد الذي لم يتب طالما أنه فرد لم يسعى إلى فتنة .

وأنا لا أدعى لنفسي أنني سأتي بالرد الشافي على من حاج الاسلام في حكم الارتداد ولكنني سوف استعين بالله واجتهد مخلصاً لدفع حجة باطلة عن الاسلام واني لأسأل الله تعالى أن يدفع عني بعلمه الخطأ ويدفعني برحمته إلى الصواب .

إن الموضوع يحتاج منا إبتداء إلى نظرة متأنية للمقارنة بين الأديان السماوية الثلاثة ومن خلاصة هذه المقارنة الضرورية سيكون مدخلنا إلى علة حكم الارتداد وأهميته بل وحتميته في الاسلام .

لا تؤمن في الحياة الشخصية إلا باللذة والمنفعة المادية ، وفي الحياة السياسية الا بالقوة والغلبة . وفي الحياة الاجتماعية الا بالوطنية - المعتدية ، والجنسية الفاحشة ، واثارت على الطبيعة الانسانية والمبادئ الخلقية ، وشغلت بالآلات ، واستهانت بالغايات ، ونسيت مقصد الحياة ، وبجهادها المتواصل في سبيل الحياة وسعيها الدؤوب في الاكتشاف والاختبار مع الاستهانة بالثروة الخلقية وتغذية الروح ، وجحودها بما جاءت به الرسل ، وانغماسها في المادية وبقوتها الهائلة مع فقدان الوازع الديني والحاجز الخلقي ، فيلا هائجاً ، يدوس الضعيف ويهلك الحرث والنسل .»

هذه هي الحالة التي عليها اليهودية والمسيحية الآن بعد أن حرفوا ما أنزل الله . فإذا عن الكتاب المقدس عند المسلمين ؟ إن أول ما يتميز به القرآن الكريم هو أن الله سبحانه وتعالى جعله معجزة محمد ﷺ . فكل رسول أتى إلى قومه أيده الله بمعجزة إنتهت بانتهاء تأثيرها على من شاهلوها . ثم جاء سيد المرسلين محمد ﷺ إلى العالم كله بمعجزة دائمة ما دامت الحياة ، ومحفوظة من أى تحريف أو عبث بحفظ الله . هذه المعجزة وحدها فيض من المعجزات . تحدى رب العالمين بها الانس والجن فقال : ﴿ قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ ^(١) وقال سبحانه : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله

(١) سورة الاسراء ، آية رقم ٨٨

الفصل الخامس

الحقوق المتعلقة بالمال

- ١ - الزكاة والصدقات
- ٢ - الاكتناز واتلاف المال والاعتداء على مال الغير
- ٣ - الدين والأمانة

ذلك العدد أى ١١٧ مرة .

٧ - لفظ (الأبرار) ذكر ٦ مرات ولفظ (الفجار) ذكر نصف ذلك العدد أى ٣ مرات .

٨ - لفظ (القرآن) ومشتقاته ولفظ (الاسلام) ومشتقاته ولفظ (الوحي) ومشتقاته ذكر كل منهما ٧٠ مرة .

٩ - لفظ (الشدة) ومشتقاتها ولفظ (الصبر) ومشتقاته ذكر

كل منهما في القرآن ١٠٢ مرة .

١٠ - لفظ (إبليس) ذكر ١١ مرة وكذلك الأمر بالاستعاذة

منه ١١ مرة .

هذا قليل مما ذكره الدكتور عبدالرازق نوفل عن الاعجاز العددي ، وهو كما قال : « الاعجاز الالهي والمادي الذي لا تختلف الآراء حوله .. ولا يقوم النقاش فيه .. ولا يثار الجدل عنه إذ أن لغة الأرقام هي الفاصلة ، وأحاديث الاعداد والحسابات قاطعة » . ونحن بدورنا نقول إن ما توصل إليه البشر حتي الآن من معجزات القرآن قليل ، فهناك الكثير الكثير مما لم يرد الله إظهاره بعد . ولا يهمننا البحث وراء الأرقام ومدلولاتها في القرآن الكريم إلا بالقدر الذي يثبت الايمان ويظهر أن القرآن العظيم محفوظ بحفظ الله ، وإنه ليس من صنع بشر . ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ ^(١) . فهذا القرآن لو تبدل أو تغير أو إنتقل منه حرف واحد من مكانه لما وجدنا مثل هذا التوازن العجيب الدقيق . وإن كان كل هذا يدل على شيء فأنما يدل على أن هذا كلام الله .

(١) سورة النساء ، آية رقم ٤ .

الفصل الخامس

الحقوق المتعلقة بالمال

- ١ - الزكاة والصدقات
- ٢ - الاكتناز واتلاف المال والاعتداء على مال الغير
- ٣ - الدين والأمانة

إنما على البشرية جمعاء .

فالماسونية كما يقول الدكتور عبدالرحمن عميرة في كتابه المذاهب المعاصرة : يقصد بها البنائون الأحرار . وكان إسم هذه الجمعية في عهد التأسيس الأول « القوة الخفية » وقد نشأت على الأرجح في بداية القرن الأول الميلادي .

وهي مؤسسة يهودية وفي عام ١٧٧٠ إتصل كبار رجال الماسونية بـ (آدم وايزهاويت) وكلفوه بمراجعة « بروتوكولات حكماء صهيون » وإعادة تنظيمها على أسس حديثة وذلك لوضع خطة للتمهيد للسيطرة على العالم عن طريق فرض عقيدة الالحاد والشر فوضع هذا المخطط عام ١٧٧٦ والذي يقوم على :

١ - الهدف الأول تدمير جميع الحكومات الشرعية وتقويض الأديان السماوية .

٢ - تقسيم الحويزم إلى معسكرات متنازدة تتصارع فيما بينها بشكل دائم حول عدد من المشاكل تتولى المؤامرة توليدها وإثارها باستمرار ملبسة إياها ثوباً إقتصادياً أو إجتماعياً أو سياسياً أو عنصرياً .

٣ - تسليح هذه المعسكرات بعد خلقها ثم تدبير حادث في كل مرة يكون من نتيجته أن ينقض كل معسكر عن الآخر .

٤ - بث سموم الشقاق والتراخ داخل البلد الواحد وتفريقه إلى فئات متناحرة وإشاعة عقلية الحقد والبغضاء فيه حتي تقوض كل دعائمه الأخلاقية والدينية والمادية .

٥ - الوصول شيئاً فشيئاً إلى النتيجة بعد ذلك ، وهي

الفصل الخامس

الحقوق المتعلقة بالمال

- ١ - الزكاة والصدقات
- ٢ - الاكتناز واتلاف المال والاعتداء على مال الغير
- ٣ - الدين والأمانة

الجنسين بالتخلص من قيودها . وطرح مبادئها .

٤ - السخرية من الأديان والرسل ، والدعوة إلى الإلحاد
السافر المتمر الذى يطلب من الآخرين السيرة في ركابه ، ومطالبة
العابثين والعاثات السخرية من الدين ورجاله .

٥ - تهوين العلاقات الزوجية ، وتحطيم الرباط الأسرى عن
طريق دعوة الزوجات إلى إتخاذ الأخدان والاحباب ، ومطالبة
الرجال باغواء النساء المتمنعات العفيفات .

٦ - الدعوة إلى العقم الاختيارى ، وذلك بتنفيذ النساء عن
الحمل والولادة ، وتربية الأطفال .

وذكر الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار في كتابه عن الماسونية

قال :

وتقول دائرة المعارف اليهودية في مادة الماسونية :

« إن تعاليم الماسونية محاطة بالسرية الدائمة ، وتنص في جميعها
على تقديس الجنس والحرية التامة في نشر الاباحية ، وآمال
الماسونية في الناحية الخلقية من حياة الناس قائمة على تنظيم أمة من
الناس أحرار لا يشعرون بالتحجل عندما يتعري بعضهم أمام
بعض ، ولا ينجلون من إظهار أعضائهم التناسلية ، حين
يجتمعون في منتديات العرى أو في شواطئ المصايف » .

هذا عن الماسونية وما تهدف إليه أما الشيوعية فموقفها من
الديانات معروف . قال عنه مؤسسها ماركس : « إنه الأفيون
الذى ينجدر الشعب لتسهل سرقة ، وإن الدين كان وسيلة
الاخضاع الروحى ، كما كانت الدولة وسيلة الاخضاع

الفصل الخامس

الحقوق المتعلقة بالمال

- ١ - الزكاة والصدقات
- ٢ - الاكتناز واتلاف المال والاعتداء على مال الغير
- ٣ - الدين والأمانة

- ٤ - الحيلولة دون قيام الحركات الدينية والعمل بيقظة لخوا
انبعاث ديني والضرب بعنف لا رحمة فيه لكل من يدعو إلى الدين
ولو أدى إلى الموت .
- ٥ - محاصرة الدين والصاق التهم وتنفير الناس منه بالأسلوب
الذي لا ينم عن معاداة الاسلام .
- ٦ - تشجيع الكتاب الملحددين على مهاجمة الدين والشعور
الديني والضمير الديني والعبقرية الدينية .
- ٧ - قطع الروابط الدينية بين الشعوب وإحلال الروابط
الاشتراكية .
- ٨ - مزاحمة وطرد الوعي الديني بالوعي العلمى .
- ٩ - خداع الجماهير بأن نزعهم أن المسيح إشتراكي وأن محمد
أمام الاشتراكيين ونبعد القداسات الروحية والوحى والمعجزات
عنهم .
- ١٠ - تفسير قصص الكتب المقدسة تفسيراً مادياً إشتراكياً .
- ١١ - اشغال الجماهير بالشعارات الاشتراكية والأناشيد
الحماسية والأغاني الوطنية والتنظيمات الحزبية والشئون العسكرية
والمحاضرات المذهبية وإلقاء مسؤولية المشاكل الاقتصادية المزمنة
على الرجعية والاستعمار والصهيونية والاقطاع ورجال الدين .
- ١٢ - تحطيم القيم الدينية والروحية .
- ١٣ - اهتاف الدائم للثورة على أنها المنفذ الوحيد للشعوب
وللاشتراكية على أنها اللجنة الموعودة .
- ١٤ - نشر الأفكار الاحادية وهدم الدين بالدين عن طريق

لمن حرفوه وأنه لمن مشيئة الله وفي علمه سبحانه ما حدث للديانة اليهودية والمسيحية ، فلم تكن مشيئته حفظ هذه الديانات إلى آخر الزمان والا لحفظت بقدرته - تعالى مهما إمتدت إليها من أيدي وحاولت النيل منها .

لقد كان في علمه الأزلئ أن هناك ديانة أخرى سيرسل بها سبحانه محمد ﷺ لتكون خاتمة الأديان ، وطالما أنه لا دين بعد دين الاسلام فكان لا بد من حفظ هذا الدين . والبشر لا يمكن أن يؤتمنوا على حفظ رسالة سماوية ورسالة خاتمة أراد الله لها أن تستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لذلك تكفل العليم الخبير بحفظها فجاء قوله سبحانه : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (١) . فما بالناس برسالة الله حافظها ، وكتاب قال الله عنه : ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ (٢) . ومحنة هذا الكتاب مع أعدائه إنه كشف ما أرادوا إخفائه فقد كشف القرآن الكريم مقام به أعداء الديانات السابقة من تحريف للكلم عن مواضعه وقد أشار إلى من يكتبون بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً . وهذا التحريف والكتب الموضوعه أشار إليها القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، وقد تم هذا التحريف قبل نزول القرآن الكريم بقرون أيضاً ، فما بالناس بما هو بين أيدي اليهود والمسيحيين الآن من كتب يدعون قداستها . لقد ذكرنا بعض ما وضعوه في كتبهم عن الله وعن الرسل والأنبياء يقول دكتور

(١) سورة الحجر ، آية رقم ٩

(٢) سورة فصلت ، آية رقم ٤٢

ارتباطات بأسرة أو بنين .
هذا إلى أنه أراد أن تكون هذه الشيوعية منظمة من عدة
وجو .

وكامبائلا نفسه الذى ذهب إلى أبعد مما ذهب إليه إفلاطون ،
إذ أثر أن تكون الشيوعية عامة في جميع الطبقات فتكون جميع
النساء حقاً مشاعاً لجميع الرجال .. رأى في روايته أن الحاجة
ماسة في مدينة كهذه إلى إنشاء وزارة للشئون الاجتماعية ، وهى
« وزارة الوزير موز » يعهد إليها بالاشراف على تنظيم الأمور
الجنسية حتى لا تؤدي الشيوعية إلى فوضى » . ولكن ما هى نتائج
كل هذه الأفكار الخبيثة والمنحطة التي تضمنتها قرارات وتوصيات
منظمات ونظم الفسق في العصر الحديث إننا نورد فيما يلى مختصر
لبعض النماذج من آثار تلك الدعوات المسمومة وقد أوردها
الدكتور عبدالرحمن عميرة في كتابه المذاهب المعاصرة على لسان
بعض المسئولين في أمريكا والغرب :

١ - يكتب الدكتور « هوكر » الأمريكى فيقول : « إنه لا
تزال تحدث في مثل هذه المدارس والكليات ، ودور التربية
للممرضات والمدارس الدينية حوادث من تسافح الوالدان من
الجنس الواحد فيما بينهما . وقد تلاش - أو كاد - ميلهم الطبيعى
إلى الجنس المخالف » .

٢ - ويكتب الطبيب لورى في أحد كتبه أنه كتب عميد
مدرسة من المدارس ذات مرة إلى أربعين أسرة يفضي إليها بشأن
صبيانها وجدوا على حال مروعة من الدناءة الخلقية ، فلم يعد

الفصل الخامس

الحقوق المتعلقة بالمال

- ١ - الزكاة والصدقات
- ٢ - الاكتناز واتلاف المال والاعتداء على مال الغير
- ٣ - الدين والأمانة

بمرض الزهري خمسة وسبعين ألفاً وابتلى بهذا المرض وحده ٢٤٢ جندياً في آن واحد في ثكنة متوسطة » .

٨ - يقول الطبيب الفرنسي (ليريد) : « إنه يموت في فرنسا ثلاثون ألف نسمة بالزهري وما يتبعها من الأمراض الكثيرة في كل سنة » .

٩ - وتقول دائرة المعارف البريطانية عن المجتمع الأمريكي أنه يعالج في المستشفيات الرسمية هناك مائتا ألف مريض بالزهري ومائة وستون ألف مصاب بالسيلان البني في كل سنة .

١٠ - ويقول كتاب القوانين الجنسية : « يموت في أمريكا ما بين ثلاثين وأربعين ألف طفل بمرض الزهري الموروث وحده في كل سنة ، وأقل ما يقدره المسئولون في مرض السيلان إنه قد أصيب بـ ٦٠٪ من النفوس في سن الشباب .

وفي عدد جريدة الشرق الأوسط الصادرة يوم السبت ١٩٨٢/٥/٢٢ تحت عنوان « مجتمع يغوص في الوحل . إنتشار المخدرات حتي بين ربات البيوت » ما يلي « تتعاطى ربات البيوت في لوس أنجلوس الكوكايين لكي يتمكن من تنظيف منازلهن بشكل أسرع في حين يحتفظ رجال الأعمال بالمخدر في علب ذهبية صغيرة ويقدمون لأصدقائهم المخدر . لقد أصبح الكوكايين الذي كان في وقت من الأوقات عقار نجوم السينما وموسيقى الروك آند رول والأغنياء منتشرأ بين أفراد الطبقة الوسطى . ويقدر أحد الخبراء البارزين في هذا المجال وهو الدكتور رونالد سيجل أن هناك على الأقل ١٠ ملايين نسمة في الولايات المتحدة يستخدمون

زنديقاً بالقتل» « غير أن الردة إذا اتخذت الصفة الجماعية . مقرونة بانشقاق المرتدين وخروجهم عن طاعة الدولة أو بالالتحاق بالعدو . فعندئذ يعتبر عملهم من نوع الفتنة المضرة بالمصلحة العامة . ويحيز قتلهم حتي يتوبوا ويرجعوا إلى إحترام النظام والسلطة . وهذا ما فعله الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه . يوم حارب بعض الأعراب والقبائل عندما إنشقوا عن الدين بعد وفاة النبي ﷺ أو امتنعوا عن أداء فريضة الزكاة . فكان ذلك منهم ثورة وعصياناً وفتنة . ومعلوم أن الفتنة تؤلف خطراً على سلامة الدولة ، وتعد بعبارة القرآن الكريم نفسه ، أشد وأكبر من القتل . فاذن ليست الردة وحدها سبب القتال في هذه الحالة ، بل هي الردة مقرونة بالحرابة والفتنة والعصيان . » هكذا يبرر الدكتور المحمصاني حكم الارتداد في صدر الاسلام ، وعليه فلا قتال للمرتدين - استناداً إلى ذلك - إلا إذا صاحب الارتداد حرابة وفتنة وعصيان وبذلك ينتهي الحكم بالقتل على المرتد الذي لم يتب طالما أنه فرد لم يسعى إلى فتنة .

وأنا لا أدعى لنفسي أنني سأتي بالرد الشافي على من حاج الاسلام في حكم الارتداد ولكني سوف استعين بالله واجتهد مخلصاً لدفع حجة باطلة عن الاسلام واني لأسأل الله تعالى أن يدفع عني بعلمه الخطأ ويدفعني برحمته إلى الصواب .

إن الموضوع يحتاج منا إبتداء إلى نظرة متأنية للمقارنة بين الأديان السماوية الثلاثة ومن خلاصة هذه المقارنة الضرورية سيكون مدخلنا إلى علة حكم الارتداد وأهميته بل وحتميته في الاسلام .

عن الكوكايين ما أعرفه لابتعدوا عنه نهائياً . ويقول الدكتور توماس انجرليدر وهو أيضاً أستاذ في كلية الطب بجامعة كاليفورنيا أن مدمني الكوكايين الذين يعالجون من بينهم طلبة من عائلات ثرية أو لهم أصدقاء أثرياء . وأضاف : الكوكايين ليس قاصراً على النجوم فحسب . ويتم تعاطي الكوكايين عن طريق الاستنشاق ويمكن أيضاً تعاطيه عن طريق الحقن . ولكن إحدى المشكلات الكبيرة المتعلقة بهذا المخدر هي ما أصبح معروفاً باسم التنقية . وهذه العملية تتم عن طريق إستخدام أثير البترين لفصل الأملاح عن الكوكايين الذى يباع في الشوارع وذلك يترك شكلاً نقياً تقريباً من المخدر يؤخذ ويتم تدخينه في نار جيلة أو على طرف سيجارة . والكوكايين الذى يستنشق يصل تأثيره إلى المخ بعد حوالى ثلاث دقائق ويقول الدكتور سيجل أن تعاطي المخدر بأسلوب التنقية يجعل الأثر يصل إلى المخ في خلال ست ثواني فقط . ويضيف الدكتور سيجل : إن المخ يفسر هذه الثواني الست على أنها تجربة مبهجة للغاية وأنها شيء مرغوب مرة أخرى ولذا فإن الذين يدخنون الكوكايين يبدأون في تعاطي جرعات أكبر . وقال الدكتور سيجل أن الجرعات الكبيرة تسبب الاكتئاب ويمكن أن تؤدي إلى التوتر البالغ وبارانويا والشك في الأصدقاء والأقارب وصعوبة التركيز . وكان الممثل الكوميدي جون بيلوشي قد مات في آذار (مارس) الماضي بعد تعاطيه لجرعة كبيرة من الكوكايين والهروين .

وفي نفس العدد من الجريدة وردت بعض الاحصاءات عن

الفصل الخامس

الحقوق المتعلقة بالمال

- ١ - الزكاة والصدقات
- ٢ - الاكتناز واتلاف المال والاعتداء على مال الغير
- ٣ - الدين والأمانة

وزوداه فيها بأحكام واضحة وتعليمات محكمة ، وأسس له فيها دوائر علمية تبعا لهذه الأحكام والتعليمات ، وكل أولئك ، كما كان صالحا للتنفيذ في القرن السابع فهو صالح للتنفيذ في هذا القرن العشرين وسيبقى كذلك إلى ما بعد الآلاف من السنين إن شاء الله . ولا يستطيع أحد أن يدلنا على شيء يجعل الاسلام غير صالح للتطبيق أو فاقد القابلية لقيادة البشرية في هذا العصر المتمدن الراقي . إذن فان الذى يرى الاسلام ناقصاً في هذا الشأن ، عليه أن يحدد لنا شيئاً ، وجد فيه الاسلام عاجزاً عن التوجيه « وبعد أن أثبت العالم المودودى أن اللادينية أو الدهرية لا تساعد الانسان في أى رقي روحى أو مادى إنتهى إلى أنه : « لا يصح للقيام في وجه سبل الشيوعية العارم الا نظام يعالج قضايا الحياة الانسانية ومشكلاتها العملية بطريقة أحسن من طريقته ، ويضفي على الانسان في الوقت ذاته الطمأنينة القلبية والسعادة الروحية التي تخلوها منها الشيوعية بتاتاً . وإذا كان لنظام مثل هذا أن يوم فأنما له أن يقوم على أساس الاسلام وحده .

من هذه الالمامة العاجلة عن الديانات السماوية وما هى عليه وما آلت إليه يمكن أن نقف وقفة من هذه الخلاصة لنتائج دراسات مقارنة الأديان يتبين ما يلي :

١ - إن الديانات السماوية كلها جاءت بالتوحيد واسلام الوجه

لله .

٢ - لم تكن الديانة اليهودية أو المسيحية ديانة عامة إنما كانت كلاهما رسالة خاصة لذلك لم يكن التشريع في كل منهما يلائم أو

زنديقاً بالقتل» « غير أن الردة إذا اتخذت الصفة الجماعية . مقرونة بانشقاق المرتدين وخروجهم عن طاعة الدولة أو بالالتحاق بالعدو . فعندئذ يعتبر عملهم من نوع الفتنة المضرة بالمصلحة العامة . ويحيز قتلهم حتي يتوبوا ويرجعوا إلى إحترام النظام والسلطة . وهذا ما فعله الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه . يوم حارب بعض الأعراب والقبائل عندما إنشقوا عن الدين بعد وفاة النبي ﷺ أو امتنعوا عن أداء فريضة الزكاة . فكان ذلك منهم ثورة وعصيائاً وفتنة . ومعلوم أن الفتنة تؤلف خطراً على سلامة الدولة ، وتعد بعبارة القرآن الكريم نفسه ، أشد وأكبر من القتل . فاذن ليست الردة وحدها سبب القتال في هذه الحالة ، بل هي الردة مقرونة بالحراية والفتنة والعصيان . » هكذا يبرر الدكتور المحمصاني حكم الارتداد في صدر الاسلام ، وعليه فلا قتال للمرتدين - استناداً إلى ذلك - إلا إذا صاحب الارتداد حراية وفتنة وعصيان وبذلك ينتهي الحكم بالقتل على المرتد الذي لم يتب طالما أنه فرد لم يسعى إلى فتنة .

وأنا لا أدعى لنفسي أنني سأتي بالرد الشافي على من حاج الاسلام في حكم الارتداد ولكني سوف استعين بالله واجتهد مخلصاً لدفع حجة باطلة عن الاسلام واني لأسأل الله تعالى أن يدفع عني بعلمه الخطأ ويدفعني برحمته إلى الصواب .

إن الموضوع يحتاج منا إبتداء إلى نظرة متأنية للمقارنة بين الأديان السماوية الثلاثة ومن خلاصة هذه المقارنة الضرورية سيكون مدخلنا إلى علة حكم الارتداد وأهميته بل وحتميته في الاسلام .

له أن يطالب بكافة ما له من حقوق في الحياة (إجتماعية ،
إقتصادية ، وسياسية إلى آخر هذه التسميات) على ضوء ما جاء
به الرسول في الكتاب والسنة .

٣ - إن إيمانه بجميع الرسل السابقين على محمد ﷺ وإيمانه
بالكتب المنزلة عليهم يضمن ذلك الحق لأصحاب الديانات
الأخرى في حرية العقيدة مع الحق في إحترام عقيدتهم وعدم
الاساءة إليهم وإحترام رسلهم وكتبهم فكل من عند الله.. وهذا من
تمام الايمان في الاسلام .

٤ - الايمان باليوم الآخر وما فيه من حساب وثواب وعقاب
يغرس في النفس الشيء الفطرى الذى يحافظ على الحقوق أقوى
من قوانين الأرض جميعاً . فالخوف من الله وإنتظار الثواب
والرهبة من عقاب الله تجعل المؤمن دائماً واقفاً ومتأدباً عند حقوق
الآخرين . وعلى ضوء ذلك يكون السؤال هو ماذا سترتب على
إرتداء المسلم عن الاسلام ؟ ويستبع ذلك سؤال : إلى أى شيء
سيرتد المسلم عن الاسلام ؟ فإذا كان سيرتد إلى دين أكمل وأسمى
وأتّم من دين الاسلام فليس من عدل الاسلام عند ذلك معاقبته
وإذا كان سيرتد إلى دين يضمن له حقوق أكثر ويعطى للآخرين
حقوقهم بشكل أوسع وأعظم مما في الاسلام فلن يجد الاسلام
أبداً من يؤيد حكمه في المرتد . ولكن الواقع أن الاسلام هو أكمل
وأتّم شريعة وهو الدين الذى شمل من الحقوق ما لم يخطر بعد على
قلوب البشر . إنه دين أمّته الله ورضيه وحفظه ، وقد بلغه رسوله
وفصله وعمل به ، وثبت للعالمين أنع عندما طبق كما أراد الله صلح

زنديقاً بالقتل» « غير أن الردة إذا اتخذت الصفة الجماعية . مقرونة بانشقاق المرتدين وخروجهم عن طاعة الدولة أو بالالتحاق بالعدو . فعندئذ يعتبر عملهم من نوع الفتنة المضرة بالمصلحة العامة . ويجوز قتالهم حتي يتوبوا ويرجعوا إلى إحترام النظام والسلطة . وهذا ما فعله الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه . يوم حارب بعض الأعراب والقبائل عندما إنشقوا عن الدين بعد وفاة النبي ﷺ أو امتنعوا عن أداء فريضة الزكاة . فكان ذلك منهم ثورة وعصياناً وفتنة . ومعلوم أن الفتنة تؤلف خطراً على سلامة الدولة ، وتعد بعبارة القرآن الكريم نفسه ، أشد وأكبر من القتل . فاذن ليست الردة وحدها سبب القتال في هذه الحالة ، بل هي الردة مقرونة بالحرابة والفتنة والعصيان . » هكذا يبرر الدكتور المحمصاني حكم الارتداد في صدر الاسلام ، وعليه فلا قتال للمرتدين - استناداً إلى ذلك - إلا إذا صاحب الارتداد حرابة وفتنة وعصيان وبذلك ينتهي الحكم بالقتل على المرتد الذي لم يتب طالما أنه فرد لم يسعى إلى فتنة .

وأنا لا أدعى لنفسي أنني سأتي بالرد الشافي على من حاج الاسلام في حكم الارتداد ولكني سوف استعين بالله واجتهد مخلصاً لدفع حجة باطلة عن الاسلام واني لأسأل الله تعالى أن يدفع عني بعلمه الخطأ ويدفعني برحمته إلى الصواب .

إن الموضوع يحتاج منا إبتداء إلى نظرة متأنية للمقارنة بين الأديان السماوية الثلاثة ومن خلاصة هذه المقارنة الضرورية سيكون مدخلنا إلى علة حكم الارتداد وأهميته بل وحتميته في الاسلام .

يلتزم لهم به ؟ إنه أنسلخ من كل الحقوق وليس ثوباً كله رياء
ونصوص مادية لا تهدف إلا إلى إنتهاك حقوق الآخرين . فهاذا
يعاقب مثل هذا المرتد ؟ أيستحق البقاء ؟

إن المرتد عن الاسلام لابد له من البحث عن أسباب يديها
لكل من سألته عن سبب إرتداده عن الاسلام . ولا شك في أن ما
سوف يديده من أسباب لا يمكن أن تكون إلا ضد الاسلام ،
وسوف يكون داعية سوء ضد الاسلام والمسلمين وسوف يتجني
وينتقص من الكمال ويعتدى على السمو والتتريه ، وربما أمرته
نفسه من السوء بالمزيد والمزيد . ومن المهم هنا أن نشير إلى أن مثل
هذا التبرير الذى يحتاج إليه من إرتد عن الاسلام لا يحتاج إليه من
يرتد عن الالحاد أو اليهودية أو المسيحية إلى الاسلام . لأن الداعى
إلى الدخول في الاسلام لا يستلزم ولا يحتاج إلى مهاجمة الديانات
الأخرى ، بل إنه قد سبق القول بأن الاسلام يجعل من تمام الايمان
الايمان بكافة الرسل والكتب السماوية السابقة ، وإنها لمخالفة بشعة
في الاسلام أن يفرق المسلم بين أحد من رسل الله بمجرد تفرقة .
فالذى يخرج من اليهودية أو المسيحية إلى الاسلام ليس عليه إلا أن
يقول أن هذا الدين الحق وأن هذه رسالة سماوية خاتمة لكل
الرسالات لذلك اتبعها . أما الرسالات الأخرى فهي رسالات
سابقة على رسالة محمد وهذا ادعى إلى أن تتصف رسالة محمد
ﷺ بالكمال والتمام . لن يؤمن من المسلمين من يسىء إلى عيسى
أو إلى غيره من الأنبياء والرسل . ولن يؤمن من المسلمين من
يدعى أن الكتب المقدسة التي أنزلت على رسل الله هي كتب فيها

الفصل الخامس

الحقوق المتعلقة بالمال

- ١ - الزكاة والصدقات
- ٢ - الاكتناز واتلاف المال والاعتداء على مال الغير
- ٣ - الدين والأمانة

وأحكامه اليهود أو النصارى أو مجموعهما تبديلاً ظاهراً مشهوراً في عامتهم». ويستمر شيخ الاسلام في كتابه «الجواب الصحيح» في بيان المقارنة الدقيقة بين الأديان فيقول: «ومن تدبر حال اليهود والنصارى مع المسلمين وجد اليهود والنصارى متقابلين هؤلاء في طرف ضلال، وهؤلاء في طرف يقابله، والمسلمون هم الوسط. وذلك في التوحيد، والأنبياء، والشرائع، والحلال، والحرام، والأخلاق، وغير ذلك. فاليهود يشبهون الخالق بالخلق في صفات النقص المختصة بالخلق التي يجب تنزيه الرب سبحانه عنها.... والنصارى يشبهون الخلق بالخالق في صفات الكمال المختصة بالخالق التي ليس له فيها مثل.... وكل من القولين يستلزم الآخر» «والنصارى أيضاً يصفون اللاهوت بصفات النقص التي يجب تنزيه الرب عنها، ويسبون الله سباً ما سبه إياه أحد من البشر». «واليهود تزعم أن الله يمتنع منه أن ينسخ مما شرعه، كما يمتنع ما لا يدخل في القدرة» أو ما يتنافى العلم والحكمة. والنصارى يجوزون لأكابره أن ينسخوا شرع الله الذي بعث به رسوله، فيحللوا ما حرم، كما حللوا الخنزير، وغيره من الخبائث، بل لم يحرموا شيئاً، ويحرمون ما حلل، كما يحرمون في رهبانيتهم التي ابتدعوها وحرّموا فيها من الطيبات ما أحله الله، ويسقطون ما أوجب، كما أسقطوا الختان وغيره، وأنواع الطهارة من الغسل، وإزالة النجاسة وغير ذلك. ويوجبون ما أسقط، كما أوجبوا من القوانين ما لم يوجبه الله وأنبيأؤه. والمسلمون وصفوا الرب بما يستحقه

الفصل الخامس

الحقوق المتعلقة بالمال

- ١ - الزكاة والصدقات
- ٢ - الاكتناز واتلاف المال والاعتداء على مال الغير
- ٣ - الدين والأمانة

والمعاد ما لم يوجد مثله في الأمتين» .

ثم هناك نقطة أخرى وهى إتهام اليهود للنصارى أنهم ليسوا على شىء وإتهام النصارى لليهود أنهم ليسوا على شىء ويلفت القرآن الكريم الانتباه إلى ذلك فيقول : ﴿قَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ . وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾^(١) ثم بلغت النظر إلى موقف اليهود والمسيحيين من الاسلام فيقول مخاطباً الرسول محمد ﷺ ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾^(٢) هكذا نجد أنه من السهل على من اعتنق الاسلام بعد خروجه من المسيحية أو اليهودية من السهل عليه أن يعيش سوياً لا يضر أحد ولا يسىء إلى أحد ، إنه ألزم نفسه بحكم الاسلام بالكثير من الأحكام والتشريعات التي تحمى حقوق الآخرين وألزم نفسه بالعبادات التي تظهر نفسه وتجعله إنساناً فاضلاً يحمل الخير وينبذ الشر ويحق الحق ويجاهد الباطل . وإذا سولت له نفسه شيئاً وتعدى حدود الله فانه يعرف الجزاء الذى سيناله دون تفرقة أو تمييز . إن الاسلام يأمر باحترام جميع الأديان وجميع الشعائر وجميع العبادات والحريات والحقوق والواجبات ، فأى موقف أفضل من هذا يكون أمام من يدخل في دين الفطرة والحق . أما إذا خرج من الاسلام فكما قلنا من قبل ليس هناك دين آخر بعد الاسلام يحترم باقي الأديان ، وليس هناك دين قبل ولا بعد الاسلام يتسع لمزيد

(١) سورة البقرة ، آية رقم ١١٣ .

(٢) سورة البقرة ، آية رقم ١٢٠ .

لمن حرفوه وأنه لمن مشيئة الله وفي علمه سبحانه ما حدث للديانة اليهودية والمسيحية ، فلم تكن مشيئته حفظ هذه الديانات إلى آخر الزمان والا لحفظت بقدرته - تعالى مهما إمتدت إليها من أيدي وحاولت النيل منها .

لقد كان في علمه الأزل أن هناك ديانة أخرى سيرسل بها سبحانه محمد ﷺ لتكون خاتمة الأديان ، وطالما أنه لا دين بعد دين الاسلام فكان لا بد من حفظ هذا الدين . والبشر لا يمكن أن يؤتمنوا على حفظ رسالة سماوية ورسالة خاتمة أراد الله لها أن تستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لذلك تكفل العليم الخبير بحفظها فجاء قوله سبحانه : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾^(١) . فما بالناس برسالة الله حافظها ، وكتاب قال الله عنه : ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾^(٢) . ومحنة هذا الكتاب مع أعدائه إنه كشف ما أرادوا إخفائه فقد كشف القرآن الكريم ما قام به أعداء الديانات السابقة من تحريف للكلم عن مواضعه وقد أشار إلى من يكتبون بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً . وهذا التحريف والكتب الموضوعه أشار إليها القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، وقد تم هذا التحريف قبل نزول القرآن الكريم بقرون أيضاً ، فما بالناس بما هو بين أيدي اليهود والمسيحيين الآن من كتب يدعون قداستها . لقد ذكرنا بعض ما وضعوه في كتبهم عن الله وعن الرسل والأنبياء يقول دكتور

(١) سورة الحجر ، آية رقم ٩

(٢) سورة فصلت ، آية رقم ٤٢

(الاسلام) ليروا ما يحدث في الدول الشيوعية . يقول الكاتب الروسي نيكوليفسكى في كتاب « لا شىء غير الاغلال » (إن في روسيا أربعة عشر مليوناً فرضت عليهم السخرة ، ويحجون كاليهاثم في حظائر تحيط بها حواجز مسيجة بالأسلاك الشائكة ، محروسة حراسة قوية بجنود يرابطون في أبراج عالية لا يغفلون ثانية عن المراقبة ، وزودت الأبراج بأنوار كاشفة قوية . ويطوف آلاف الكلاب الضارية خارج الاسلاك فاذا نجا هارب من رصاص الحرس لم ينج من مطاردة الكلاب تفرى لحمة وهم يقومون بأشق الأعمال التي لا يطيقها بشر ، وهؤلاء هم رجال الدين وأحرار الفكر والأدباء وكل معارضي الشيوعية والمشتبه في أمرهم « إن من يعترض على القتل بغير حق عليهم أن يقاوموا الغزو السوفيتي لأفغانستان ، إن من يعترضوا على القتل بغير حق عليهم أن يواجهوا إسرائيل بما فعلته في هذه الأيام بלבnan ويبحثوا لنا عن سبب واحد يتفق مع حقوق الانسان فيما قامت به من مذابح في مخيمى صبرا وشاتيلا وليأتوا لنا مجتمعين باجراء واحد ذى شأن اتخذ ضد إسرائيل بعد أن أتمت هذه المذابح وانتهكت حق الحياة .

يبقى لنا الآن أن نرد على ما أوردناه في بداية هذا الفصل من أقوال للدكتور صبحى المحمصاني والتي شكك فيها في حكم الارتداد ومنها قوله : « وفوق ذلك فقد اعتبر بعض العلماء أن الحديث المنوه به الذى هو من نوه الخير الواحد يستوجب الشك في صحته لا سيما وأنه يبدووا مخالفاً لمعنى الآية الكريمة المتقدم ذكرها . والتي تعلن أنه (لا إكراه في الدين) وقوله : « فاذن

لمن حرفوه وأنه لمن مشيئة الله وفي علمه سبحانه ما حدث للديانة اليهودية والمسيحية ، فلم تكن مشيئته حفظ هذه الديانات إلى آخر الزمان والا لحفظت بقدرته - تعالى مهما إمتدت إليها من أيدي وحاولت النيل منها .

لقد كان في علمه الأزل أن هناك ديانة أخرى سيرسل بها سبحانه محمد ﷺ لتكون خاتمة الأديان ، وطالما أنه لا دين بعد دين الاسلام فكان لا بد من حفظ هذا الدين . والبشر لا يمكن أن يؤتمنوا على حفظ رسالة سماوية ورسالة خاتمة أراد الله لها أن تستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لذلك تكفل العليم الخبير بحفظها فجاء قوله سبحانه : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾^(١) . فما بالناس برسالة الله حافظها ، وكتاب قال الله عنه : ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾^(٢) . ومحنة هذا الكتاب مع أعدائه إنه كشف ما أرادوا إخفائه فقد كشف القرآن الكريم مقام به أعداء الديانات السابقة من تحريف للكلم عن مواضعه وقد أشار إلى من يكتبون بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً . وهذا التحريف والكتب الموضوعة أشار إليها القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، وقد تم هذا التحريف قبل نزول القرآن الكريم بقرون أيضاً ، فما بالناس بما هو بين أيدي اليهود والمسيحيين الآن من كتب يدعون قداستها . لقد ذكرنا بعض ما وضعوه في كتبهم عن الله وعن الرسل والأنبياء يقول دكتور

(١) سورة الحجر ، آية رقم ٩

(٢) سورة فصلت ، آية رقم ٤٢

خامس عن معاذ وحسنة الحافظ أن النبي ﷺ قال لما أرسله إلى اليمن «أيما رجل ارتد عن الاسلام فادعه ، فان عاد وإلا ضرب عنقه ، وأيما امرأة ارتدت عن الاسلام فادعها ، فان عادت ، وإلا فاضرب عنقها» .

وقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : «إن امرأة إرتدت يوم أحد فأمر رسول الله ﷺ أن تستاب ، فان تابت والا فقتلت» .

وقد ثبت أن أبا بكر رضي الله عنه استتاب امرأة يقال لها «أم قرفة» كفرت بعد اسلامها فلم تتب فقتلها» .

وفي حروب الردة الكثير مما فعله أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ بالمرتدين عن الدين «ونعلم أن أكثرهم كانت ممتنعاً فقط عن فرض واحد وركن واحد من أركان الاسلام وهو الزكاة فلم يعصمها ذلك من القتل وفي عهد عمر وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما طبق حكم الارتداد باجاع من صحابة رسول الله ﷺ فهل لنا بعد ذلك أن نقول أن بعض العلماء قد اعتبر أن الحديث الصحيح لرسول الله ﷺ «من بدل دينه فاقتلوه» يستوجب الشك . وننال بذلك من حكم الارتداد وأى مخالفة تلك التي تبدوا بين هذا الحديث الشريف وبين معني الآية الكريمة ﴿لا إكراه في الدين﴾ .

ومن قال أن الاسلام يكره أحداً على الدخول في الدين . إن حكم الاتداد لا ينصب على من لا يعتنق دين الاسلام . إنما هو ينصب على من دخل باختياره وكامل إرادته دين الاسلام ، ثم

لمن حرفوه وأنه لمن مشيئة الله وفي علمه سبحانه ما حدث للديانة اليهودية والمسيحية ، فلم تكن مشيئته حفظ هذه الديانات إلى آخر الزمان والا لحفظت بقدرته - تعالى مهما إمتدت إليها من أيدي وحاولت النيل منها .

لقد كان في علمه الأزلئ أن هناك ديانة أخرى سيرسل بها سبحانه محمد ﷺ لتكون خاتمة الأديان ، وطالما أنه لا دين بعد دين الاسلام فكان لا بد من حفظ هذا الدين . والبشر لا يمكن أن يؤتمنوا على حفظ رسالة سماوية ورسالة خاتمة أراد الله لها أن تستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لذلك تكفل العليم الخبير بحفظها فجاء قوله سبحانه : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾^(١) . فما بالناس برسالة الله حافظها ، وكتاب قال الله عنه : ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾^(٢) . ومحنة هذا الكتاب مع أعدائه إنه كشف ما أرادوا إخفائه فقد كشف القرآن الكريم مقام به أعداء الديانات السابقة من تحريف للكلم عن مواضعه وقد أشار إلى من يكتبون بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً . وهذا التحريف والكتب الموضوعه أشار إليها القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، وقد تم هذا التحريف قبل نزول القرآن الكريم بقرون أيضاً ، فما بالناس بما هو بين أيدي اليهود والمسيحيين الآن من كتب يدعون قداستها . لقد ذكرنا بعض ما وضعوه في كتبهم عن الله وعن الرسل والأنبياء يقول دكتور

(١) سورة الحجر ، آية رقم ٩

(٢) سورة فصلت ، آية رقم ٤٢

وبالمجتمع ، ودعوة للفساد ؟ إن جريمة الزنا إذا لم يشهدها أربعة على نحو ما سبق فلن يكون هناك رجم طبعاً إلا إذا أقر الزاني على نفسه ، ومن أقر على نفسه دون شهود وتقبل في نفسه أن يطبق عليه الحد فقد ارتد إلى الايمان الكامل الذى طهره من جرمه . ولا يستقيم في الاسلام أن يقتل الزاني المسلم ، ولا يقتل المرتد عن الاسلام والمنسلخ من كل أحكامه .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
﴿ افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾ ^(١) .

(١) سورة البقرة ، آية رقم ٨٥ .

لمن حرفوه وأنه لمن مشيئة الله وفي علمه سبحانه ما حدث للديانة اليهودية والمسيحية ، فلم تكن مشيئته حفظ هذه الديانات إلى آخر الزمان والا لحفظت بقدرته - تعالى مهما إمتدت إليها من أيدي وحاولت النيل منها .

لقد كان في علمه الأزل أن هناك ديانة أخرى سيرسل بها سبحانه محمد ﷺ لتكون خاتمة الأديان ، وطالما أنه لا دين بعد دين الاسلام فكان لا بد من حفظ هذا الدين . والبشر لا يمكن أن يؤتمنوا على حفظ رسالة سماوية ورسالة خاتمة أراد الله لها أن تستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لذلك تكفل العليم الخبير بحفظها فجاء قوله سبحانه : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾^(١) . فما بالناس برسالة الله حافظها ، وكتاب قال الله عنه : ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾^(٢) . ومحنة هذا الكتاب مع أعدائه إنه كشف ما أرادوا إخفائه فقد كشف القرآن الكريم مقام به أعداء الديانات السابقة من تحريف للكلم عن مواضعه وقد أشار إلى من يكتبون بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً . وهذا التحريف والكتب الموضوعه أشار إليها القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، وقد تم هذا التحريف قبل نزول القرآن الكريم بقرون أيضاً ، فما بالناس بما هو بين أيدي اليهود والمسيحيين الآن من كتب يدعون قداستها . لقد ذكرنا بعض ما وضعوه في كتبهم عن الله وعن الرسل والأنبياء يقول دكتور

(١) سورة الحجر ، آية رقم ٩

(٢) سورة فصلت ، آية رقم ٤٢

الفصل الثامن

الآداب العامة والرحمة وحسن الخلق

١ - الآداب العامة .

٢ - الرحمة .

٣ - حسن الخلق .

إن الآداب العامة والرحمة والخلق الكريم أركان أساسية في سلوك الإنسان السوى . وما من مجتمع خلا في سلوك أفراده من هذه الأركان إلا ودب فيه الانحلال والفساد ، وساد السلب والنهب وانتشرت فيه الجرائم وضاعت الحقوق ، وتعثرت فيه الحياة .

وقد اعتني الدين الاسلامي بهذه الأركان وشملها شمولاً يتفق وكونه الدين الخاتم لسائر الأديان . ولقد أدب رب العزة عبده ورسوله محمداً ﷺ فأحسن تأديبه ، فكان كما قالت عائشة رضي الله عنها : « كان خلقه القرآن » . وقام ﷺ بتأديب أصحابه بما أدبه به ربه . وفي حديث عن جابر بن عبد الله رضي عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أحبكم وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » ، قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال : « المتكبرون » وفي حديث آخر عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من شيء أثقل في الميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق » وأن الله يبغض الفاحش

لمن حرفوه وأنه لمن مشيئة الله وفي علمه سبحانه ما حدث للديانة اليهودية والمسيحية ، فلم تكن مشيئته حفظ هذه الديانات إلى آخر الزمان والا لحفظت بقدرته - تعالى مهما إمتدت إليها من أيدي وحاولت النيل منها .

لقد كان في علمه الأزل أن هناك ديانة أخرى سيرسل بها سبحانه محمد ﷺ لتكون خاتمة الأديان ، وطالما أنه لا دين بعد دين الاسلام فكان لا بد من حفظ هذا الدين . والبشر لا يمكن أن يؤتمنوا على حفظ رسالة سماوية ورسالة خاتمة أراد الله لها أن تستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لذلك تكفل العليم الخبير بحفظها فجاء قوله سبحانه : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾^(١) . فما بالناس برسالة الله حافظها ، وكتاب قال الله عنه : ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾^(٢) . ومحنة هذا الكتاب مع أعدائه إنه كشف ما أرادوا إخفائه فقد كشف القرآن الكريم مقام به أعداء الديانات السابقة من تحريف للكلم عن مواضعه وقد أشار إلى من يكتبون بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً . وهذا التحريف والكتب الموضوعة أشار إليها القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، وقد تم هذا التحريف قبل نزول القرآن الكريم بقرون أيضاً ، فما بالناس بما هو بين أيدي اليهود والمسيحيين الآن من كتب يدعون قداستها . لقد ذكرنا بعض ما وضعوه في كتبهم عن الله وعن الرسل والأنبياء يقول دكتور

(١) سورة الحجر ، آية رقم ٩

(٢) سورة فصلت ، آية رقم ٤٢

المريض وآداب الجنائز ، إلى آخر هذه الآداب الإسلامية النبوية الشريفة . وقد ورد أكثرها في أحاديث صحيحة ، كما فصل بعضها علماء المسلمين وزادوها توضيحاً وشرحاً . فمن آداب الصلاة : الطهارة والخشوع وإعطائها حقها دون تعجل أو إنشغال ، فليس لابن آدم من صلاته إلا ما عقل منها . ويسن تكميل الصف الأول فالأول وتراص المأمومين وسد خلل الصفوف وقرب الأفضل من الامام . ويستحب النظر موضع السجود . ويكره النظر إلى السماء أثناء الصلاة . وعلى المسلم ألا يدخل الصلاة وهو حاقن أو بحضرة طعام يشتهي ويرد المار بين يديه ولو بدفعه . ومن آداب الزكاة : أن تكون من مال حلال وأن تعطى بنية أداء الفريضة وأن تعطى عن طيب نفس ومن مال طيب ولا تكون مما لا يقبله المتصدق لو أعطى له ، وأن تعطى دون من ولا أذى ، ويحسن أن تكون سرّاً ويراعى عند إعطائها كرامة المتصدق عليه وإنسانيته وكلها آداب مما تناولناه في الحقوق المتعلقة بالمال . ومن آداب الصيام : تأخير السحور وتعجيل الافطار كما قال النبي ﷺ ، وأن يكون الافطار من مال حلال ، ويجب أن يمسك الصائم لسانه عن أى أذى وعن الغيبة والنميمة ، وأن يكثر من تلاوة القرآن وقيام الليل والدعاء . ومن آداب الحج : الامتناع عن الرفث والفسوق والجدال كما جاء في كتاب الله تعالى ، واتباع سنة الرسول ﷺ في جميع المناسك . وتجب مساعدة الضعيف والمحتاج وعدم المزاحمة وإيذاء الغير . ويجب أن يترك الحاج لأهله ما يلزمهم وما يساعدهم على المعيشة الكريمة . ويجب أن يسدد

المصلين ويجب أن يوالي القارئ قراءته ولا يقطعها بحديث الناس
ما لم تعرض حاجة ، وأن يقرأ بالقراءة المستفيضة لا الشاذة
الغريبة ، وأن تكون قراءته يغني إبتداء على الصالحين العدول
العارفين بمعانيها ، وأن يقرأ ما أمكنه في الصلاة لأنها أفضل أحوال
العبد وتفضل القراءة من المصحف للجمع بين الذكر والعبادة
فالنظر في المصحف عبادة وأن يتحرى قراءته متطهراً وأن لا يقرأ
في المواضع القذرة أو أماكن اللهو وأن يستقبل القبلة إن كان
قاعداً ، وأن يتحرى أن يعرضه كل عام على من هو أقرأ منه ،
وأن يقرأ بالاعراب ، وأن يفخمه ، وأن يفصل كل سورة مما
قبلها بالوقف أو التسمي ، ولا يقرأ من أخرى قبل فراغ الأولى ،
وأن يقف على رؤوس الآي ، وأن يجتهد في شكر الله على أن
جعله أهلاً لحفظ كتابه ، وأن يترك المباهاة ، وأن لا يطلب به
الدنيا ، ولا يجوز أن يجعل القرآن بدلاً من الكلام . وعلى مستمع
القرآن الانصات والتفكر والتدبر وأن يسأل الله الرحمة والمغفرة
والجنة عند سماع آياتها وأن يستعين بالله من العذاب ومن النار عند
سماع الآيات التي يذكر بها العذاب أو النار .

ومن الآداب أيضاً مع الله آداب الدعاء ومنها الخشوع
والخضوع والانكسار والتضرع وخفض الصوت وحضور القلب
والالحاح والعزم في الدعاء وأن يدعوا الداعي وهو موقن بالاجابة
وأن لا يكن متعجلاً بالاجابة وأن يرفع يديه مستقبلاً القبلة وأن
يحمد الله ويثني عليه ويصلي على نبيه قبل الدعاء وفي وسطه وبعد
الانتهاء وأن يتحرى الأماكن والأوقات التي يجاب فيها الدعاء وأن

الامام البخارى أن يقيم الرجل من مقعده ويجلس فيه . وعن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال : « إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به »^(١) ومن آداب المجالس أيضاً حفظ أسرارها فعن جابر أن رسول الله ﷺ قال : « المجالس بالأمانة الا ثلاثة مجالس : سفك دم حرام ، أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق » (أخرجه أبو داود) . وليس من الضروري أن يطلب منك من يجالسك المحافظة على سره حتي لا تضيعه فعن أبي الرداء : « من سمع من رجل حديثاً لا يشتهي أن يذكر عنه فهو أمانة وإن لم يستكتمه » (أخرجه الامام أحمد) . ومن آداب المجالس أن يخفض العاطس صوته ويغطي وجهه حتي لا يخرج منه شيء يؤذي جلساؤه أو يفحش منظره . ومن آداب الطريق قول الرسول ﷺ : إياكم والجلوس على الطرقات فقالوا ما لنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها ، قال فإذا أبيتم الا المجالس فاعطوا الطريق حقها . قالوا وما حق الطريق ؟ قال غض البصروكف الأذى ورد السلام وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر » (رواه الامام البخارى) .

ومن آداب التحية أمر الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا حُيِّمَ بِتَحِيَةٍ فَمُحِوْا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيْبًا ﴾^(٢) ويقول الرسول ﷺ واصفاً قواعد من يبدأ بالسلام « يسلم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد ، والقليل على الكثير ».

(١) صحيح مسلم .

(٢) سورة النساء ، آية رقم ٨٦ .

والترمذي) ومن آداب الأكل والشرب أيضاً غسل اليدين والضم
قبل الأكل وبعده والبدء بالتسمية والانتهاء بالحمد ويستحب أن
يجهر بالتسمية لينتبه غيره ويهرب الشيطان ويكره الأكل متكئاً -
أو مضطجعاً أو منبطحاً لأن فيه احتقار للنعمة . ويكره الأكل
بأقل أو أكثر من ثلاثة أصابع ويسن لعق الأصابع بعد الانتهاء من
الأكل وكذلك الصفحة ويكره مسح الأصابع والسكين في الخبز
ويكره سبق القوم بالأكل . وليبدأ رب الطعام أو الأكبر أو
الأعلم . ويجب عدم الإفراط في الأكل أو الشرب فعن المقدم بن
معدي كرب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما ملأ آدمي
وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه فان كان لا
محالة فثلث لشرابه وثلث لنفسه » (أخرجه الامام أحمد والترمذي
وابن حبان في صحيحه) وكذلك حرام قليل الطعام بما يضر
بالبدن . ويستحب تصغير اللقمة وإجادة مضغ الطعام ولا يضع
اللقمة الثانية في فمه قبل بلع الأولى . وإذا وقعت لقمة يميظ عنها
الأذى ثم يأكلها فعن عائشة قالت دخل على رسول الله ﷺ
البيت فرأى كسرة ملقاة فأخذها فمسحها ثم أكلها « وقال يا عائشة
أحسني جوار نعم الله فانها ما نفرت عن قوم فعادت إليهم » (رواه
إبن ماجه والحكيم والترمذي) . ويحسن أكل الفتات الساقط من
الطعام إذا لم يفسده شيء . ويستحب لصاحب الطعام أن يياسط
ضيوفه بالحديث الذي يسعدهم ويتعد عن الأحاديث التي
تروعهم . ويحسن أن لا يتحدث بما يضحك أو يحزن أو يقذر .
ويسن أن يغض الرجل طرفه عن جلسه ولا يحوجه أن يقول له

ضرب الوجه والرأس والبطن وما يهلك أو يفسد .
ومن آداب الزيارة الاستئذان واختيار الموعد المناسب ولا
يطرق الباب بقوة ترعج أو يضطرب معها من الدار . ولا يقدم
النظر على الاستئذان . ويظهر صوت أو (يتنحج) أو يحرك نعله
وإذا سأل من أنت يجيب باسمه ولا يقول أنا . ولا بد من إستئذان
الصبي الذي لم يبلغ الحلم والخدام إذا دخل على أهل البيت كما قال
عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ إِيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ
لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ
تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ . ثَلَاثُ
عَوْرَاتٍ لَكُمْ . لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ
عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ وَكَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴾ (١)

ومن آداب الضيافة أن يستقبل المضيف ضيفه ببشاشة ووجه
طلق وأن يحدثه بما تميل إليه نفسه ولا ينأى عنه ولا يشكو الزمان
بخصوره ويقدم له أطيب ما عنده ولا يغضب على أحد في وجوده
وإذا قدم له الطعام فلا ينتظر من يحضر من أسرته . وعلى الضيف
موافقة المضيف فيأكل ولا يعتذر ولا ينظر إلى عورات المنزل ولا
إلى نسائه ولا يسأل عن شيء إلا القبله ومكان قضاء الحاجة ولا
يتمتع عن غسل يديه ولا يمنع صاحب الدار من أى حركه يأتي بها

(١) سورة النورة . آية رقم ٥٨ .

تكفين الميت ويجوز تجريد الموتي عند غسلهم . ويستحب التكفين في الثياب البيضاء ويكره الإفراط والتفريط في الكفن ويجوز أخبار الناس بموت الميت للصلاة عليه لأنه من المستحب كثرة المصلين على الجنازة ويحثنا الرسول ﷺ على السير في الجنازة فيقول ﷺ : « من اتبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً وكان معه حتى يصلى عليه ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قراط مثل أحد »^(١) ويستحب المشي بالجنازة دون هرولة . وينهى النساء عن اتباع الجنائز ويستحب القيام للجنازة ويحرم رفع القبور والجلوس عليها والبناء عليها . ويستحب الوقوف عند القبر بعد الدفن والاستغفار للميت وسؤال الثبوت له . وتحرم النياحة على الميت ويستحب الدفن بالنهار ويستحب صنع طعام لأهل الميت ونهى الرسول ﷺ عن سب الأموات فإنهم قد افضوا لما قدموا (رواه البخاري) .

هذه بعض الآداب التي جاء بها الاسلام وكلها توضح للناس أدق الحقوق بما لا يترك مجالاً لإضافة أو سبيلاً لحذف ، فهي من شريعة اكتملت وأتمها الله بنعمته ورضي لنا الاسلام ديناً . فنسأل الله أن نتأدب بما أدب الله به نبيه محمد ﷺ وجزاه الله عن أمته خير الجزاء .

الرحمة :

من رحمة الله بعباده أن كتب على نفسه الرحمة فقال :

(١) صحيح البخاري .

معه أشداء على الكفار رحماء بينهم» (١) هذه الرحمة التي سادت بين المؤمنين شملت كل شيء شملت الضعيف والمسكين والفقر والضرير وذوى الحاجة وذوى العاهة ، وشملت المرأة والعبد والأولاد والبنات ، وشملت الطير والحيوان ، وشملت أيضاً رحمة الانسان بنفسه وبزوجته وأبنائه ووالديه وأقاربه وجيرانه وأصدقائه وكل من يتعامل معهم . إن الرحمة التي علمها لنا رسول الله ﷺ شملت كل ما يحفظ الانسان حقه في الحياة والعيش بكرامة ودون مهانة مهما تعرض لقسوة الحياة ومهما أصابه ومهما كانت وظيفته أو مكانته أو قدراته بين أهله وعشيرته . ولذلك كان أول ما اهتم به الرسول ﷺ الخدم والعبيد فكم من حديث شريف أرشد إلى الرحمة بهم وحسن معاملتهم ، وكم من حديث شريف شجع على عتق الرقاب فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل أرب منه من النار » وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « من عال جارين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو » وضم أصابعه . واهتم الرسول ﷺ اهتماماً بالغاً بالأرملة والمسكين فرغب في مساعدتهما والسعي عليهما فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله واحسبه قال - وكالقائم لا يفتر ، وكالصائم لا يفطر » (٢) . واهتم الرسول ﷺ بترسيخ بر الوالدين

(١) سورة الفتح ، آية رقم ٢٩ .

(٢) صحيح مسلم .

من ظهر الطريق كانت تؤذى الناس» (١) . ومن الرحمة أيضاً ما وصانا به الرسول للنساء والبنات . فعن جابر أن النبي ﷺ قال في حجة الوداع : « اتقوا الله في النساء ، فانهن عندكم عوان ، ولكم عليهن الا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فان فعلمن فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف» (٢) . وعن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ : « من ابتلى من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار» (٣) وقد أنكر ﷺ قتل النساء والصبيان في الحروب وقال ﷺ : « لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية» (٤) . وأمر ﷺ باليسير فقال : « يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا» (٥) . وحتى في العبادة - كما سبق القول - يأمر ﷺ بالرحمة بالنفس فعن عبدالله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله ﷺ يا عبدالله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل فقلت بلا يا رسول الله . فقال فلا تفعل ، صم وافطر وقم ونم فان لجسدك عليك حقاً وأن لعينك عليك حقاً وأن لزوجك عليك حقاً وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاث أيام فانه لك بكل حسنة عشر أمثالها فان ذلك صيام الدهر كله فشددت فشددت على فقلت يا رسول الله إني أجد قوة قال : « فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ولا ترد عليه وما كان صيام نبي الله

-
- (١) صحيح مسلم .
(٢) صحيح مسلم .
(٣) صحيح البخاري .
(٤) صحيح البخاري .
(٥) صحيح البخاري .

الشريف عن شداد بن أوس قال : سستان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله كتب الاحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتله وإذا دبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته فليريح ذبيحته » (١) . ونهى ﷺ عن حبس البهائم واتخاذها غرضاً فعن أنس رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم » (٢) (أى تحبس وهي حية لتقتل بالرمي ونحوه) . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً » (٣) أى هدفاً ترمو عليه . ونهى الرسول ﷺ عن جزاء أعراف الخيل ونواصيها ونتف أذنانها . فعن عتب بن عبد السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن جزأ أعراف الخيل ونتف أذنانها وجز نواصيها وقال أما أذنانها فانها مذابها وأما أعرافها فإنها ادفاؤها وأما نواصيها فان الخيل معقود فيها » (٤) . وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ مر عليه حمار قد وسم وجهه فقال : « لعن الله الذي وسمه » (٥) . وكم رغب الاسلام في الرحمة بالحيوان ورهب من إيذائه فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج فاذا هو بكلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال : لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ لي ، فملأ خفه ثم أمسكه بغيه فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له ،

-
- (١) صحيح مسلم .
(٢) صحيح مسلم .
(٣) صحيح مسلم .
(٤) رواه الامام احمد .
(٥) صحيح مسلم .

ويحميها بما يوضحه من أمور الترغيب في إتباع الحق والترهيب من الأعتداء عليه ويشير الأستاذ/عبدالرحمن حبنكة في كتابه الأخلاق الإسلامية إلى أن « من حق الجماعة على الفرد أن لا يؤذيه بأى قباحة من القباحات المؤذية ، أو في المنظر ، أو في الرائحة الكريهة ، أو في الكلمة النابية ، أو في الصوت المزعج ، أو في العمل المنفر أو في القذارة المؤذية للنفوس . والعدوان على هذا الحق ظلم لا يفعله من خلقه حب الحق وإيثاره » ويقسم الأستاذ/ حبنكة الأخلاق باعتبار علاقتها إلى أربع أقسام :

الأول : ما يتعلق بالصلة بين الإنسان وخالقه وتشمل : الإيمان بالله لأنه حق ، ومنها الاعتراف له بكمال الصفات والأفعال ، ومنها شكره على نعمه التي لا تحصى ، ومنها طاعته في أوامره ونواهيه ، وتقبل نصائحه ووصاياه ، والاستجابة له فيما يدعو الناس إليه ، ومنها تصديقه فيما يخبرنا به ، ومنها التسليم التام لما يحكم علينا به . فكل هذه الأنواع من السلوك أمور تدعو إليها الفضيلة الخلقية . أما دواعي الكفر بالخالق بعد وضوح الأدلة على وجوده فهي حتماً دواعي تستند إلى مجموعة من رزائل الأخلاق ، منها الكبر ، ومنها إبتغاء الخروج على طاعة من تجب طاعته ، إستجابة لأهواء النفس وشهواتها ، ومنها نكران الجميل وجحود الحق .

الثاني : ما يتعلق بالصلة بين الإنسان وبين الناس الآخرين وتشمل : الصدق ، والأمانة ، والعفة ، والعدل ، والاحسان ، والعفو ، وحسن المعاشرة ، وأداء الواجب ، والاعتراف لذي

تحفظ الحقوق في أحاديثه الشريفة في مجال العلاقة بين المسلمين أحاديث كثيرة منها حديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » (١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا » (٢) وعن أبي هريرة أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . » بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » (٣) وعن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته . ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة . ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » (٤) . وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : « كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح منتنة ، فقال رسول الله ﷺ : « أتدرون ما هذا الريح ، هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين » (٥) . وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها

(٢) رواه مسلم .

(٤) صحيح مسلم .

(١) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

(٥) رواه أحمد .

الغضب» ^(١) ويحبينا ﷺ في الدعاء بعضنا لبعض بظهر الغيب فعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك : ولك بمثله » ^(٢) ويأمرنا ﷺ باجابة الدعوة فعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دعى أحدكم إلى الويمة فليأتها » ^(٣) وقال ﷺ : « لو دعيت إلى كراع لأجبت . ولو أدى إلى ذراع لقبلت » ^(٤) .

ويحذرنا ﷺ من مفارقت الجماعة والتعصب فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات ميتة جاهلية . ومن قتل تحت راية عمية يغضب للعصبة ويقاتل للعصبة فليس من أمتي . ومن خرج من أمتي يضرب برها وفاجرها لا يتحاش من مؤمنها ولا يني بذي عهدا فليس مني » ^(٥) ويأدبنا ﷺ مع زوجاتنا فعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أقدم أحدكم ليلاً فلا يأتين أهله طروقاً . حتي تستحد المغيبة وتمشط الشعثة » ^(٦) وعن علاقة الجوار حديث الرسول ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه » أو قال لجاره « ما يحب لنفسه » ^(٧) وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من لا يأمن جار بوائقه » ^(٨) وعن حفظ اليد واللسان نجد الحديث الشريف عن أسود بن أحرم

- | | |
|-----------------|--------------------|
| (١) صحيح مسلم . | (٢) صحيح مسلم . |
| (٣) صحيح مسلم . | (٤) صحيح البخاري . |
| (٥) صحيح مسلم . | (٦) صحيح مسلم . |
| (٧) صحيح مسلم . | (٨) صحيح مسلم . |

تحكم الجميع على حد سواء ، فليس هناك أدباً خاصاً بالأغنياء
وآخر بالفقراء ، والرحمة لا بد أن تشمل الجميع حتي الطير
والحيوان ، والخلق الحسن لا يقتصر على الضعيف والعبد والأسير
وإنما يجب أن يتحلى به الجميع لأنها أوامر وتوجيهات من رسول
الله الذي لا ينطق عن الهوى والذي بعث لينتم مكارم الأخلاق .

الفصل التاسع

الأمر والنهي بما يحفظ الحقوق

- ١ - الأمر بالفرائض .
- ٢ - الأمر بكل ما يحفظ حقوق الانسان .
- ٣ - النهي عن كل ما يؤدي الى الاعتداء عل حقوق الانسان .

الاسلام دين للبشر من عند خالقهم . بُعِثَ به محمد ﷺ
رحمة للعالمين . فكان متمشياً مع فطرة الانسان السليمة في العبادة
والتوحيد . وكان منظماً لكل الأمور التي تمس الانسان في الدنيا
والآخرة . وجاء بأبواب الاصلاح لكل ما يفسده الشيطان من
حياة الانسان وكذلك لكل ما توسوس به نفس الانسان من
سوء . فأمر الانسان بما يقوي نفسه ويظهرها ويزكيها . وأمر بما
يحفظ لكل إنسان حقوقه ويصونها مهما كان ضعيفاً أو فقيراً ومهما
كانت جنسيته أو لونه أو نسبه . وأمر بما ييسر على الانسان سبل
خلافة الله في الأرض . أمر بكل ذلك . ونهى عن ما يقود
الانسان إلى اهلاك نفسه . وضياع حقوقه . ونهى عن ما يهين
كرامته ويهين آدميته .

وليس غريباً على الاسلام ذلك . فهو الدين الذي اختاره الله
خاتماً للأديان . وبعث به رسوله للانس والجن أجمعين .
والاسلام عندما شرع الحقوق للانسان ، وعلم أن هناك من
سيغلبه الشيطان ليتهمك حقوق الآخرين ، وأن هناك من ستغلبه
نفسه على ذلك . الاسلام أمام ذلك لم يكتف ببيان الحقوق
ووضع الحدود ، إنما عالج النفس ومهد الطريق للاصلاح . وهياً

تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض
 وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
 يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . « بحسب
 امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام
 دمه وماله وعرضه » (١) . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
 ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه
 أنا . قال « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن
 أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن عاد منكم
 اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر أنا . فقال ﷺ : « ما اجتمعنا لامرئ
 الا دخل الجنة . » (٢)

الحقوق بين الخادم وسيده :

لقد نال الخادم في ظل الاسلام حقوق لم تعرف من قبل . وقد
 شملت هذه الحقوق الكثير الكثير فمن أسلوب المناداة أو التخاطب
 مع الخادم إلى اطعام الخادم واللباسه مما يطعم ويلبس سيده . إلى
 معاونة السيد لخادمه فيما يسنده إليه من أعمال . فعن أسلوب
 التخاطب يقول ﷺ : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضي
 ربك ، استي ربك ، وليقل سيدي . مولاي . ولا يقل أحدكم
 عبدي أمتي وليقل فتى وفتاتي وغلامي » (٣) . ثم يبين بعد ذلك

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح البخاري

حياً ﴿^(١)﴾ وعندما دعا سيدنا إبراهيم ربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إلى ذريته وأن يرزقهم من الثمرات سبق دعائه بما عرف من الله أنه سبباً للفضل والرحمة والرزق واستجابة الدعاء وهو الصلاة فقال : ﴿ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ ﴿^(٢)﴾ ولمعرفة أبو الانبياء إبراهيم عليه السلام بفضل الصلاة كانت دعوته لربه : ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي . ربنا وتقبل دعاء﴾ ﴿^(٣)﴾ ولم تقل معرفة سيدنا اسماعيل عليه السلام لفضل الصلاة وبركتها عن معرفة أبيه إبراهيم عليه السلام ولذلك كان يأمر أهله بها ، كما جاء بالقرآن الكريم : ﴿واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا . وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا﴾ ﴿^(٤)﴾ وكانت الصلاة من الوصايا التي وصي بها سيدنا لقمان عليه السلام ابنه وهو يعظه فقال : ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ ﴿^(٥)﴾ .

هكذا كانت دعوات الرسل ووصاياهم وأوامرهم تبين أهمية الصلاة في إصلاح النفس ومن ثم جميع الأمور . وليس هناك أبلغ في التعبير عن فوائد الصلاة من قول الله عز وجل : ﴿إن

(١) سورة مريم - آية رقم ٣٠/٣١ (٢) سورة إبراهيم : آية رقم ٣٧ .

(٣) سورة إبراهيم : آية رقم ٤٠ . (٤) سورة مريم : آية رقم ٥٤/٥٥

(٥) سورة لقمان - آية رقم ١٧ .

تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض
 وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
 يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . « بحسب
 امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام
 دمه وماله وعرضه » (١) . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
 ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه
 أنا . قال « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن
 أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن عاد منكم
 اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر أنا . فقال ﷺ : « ما اجتمعنا لأمريء
 الا دخل الجنة . » (٢)

الحقوق بين الخادم وسيده :

لقد نال الخادم في ظل الاسلام حقوق لم تعرف من قبل . وقد
 شملت هذه الحقوق الكثير الكثير فمن أسلوب المناداة أو التخاطب
 مع الخادم إلى اطعام الخادم واللباسه مما يطعم ويلبس سيده . إلى
 معاونة السيد لخادمه فيما يسنده إليه من أعمال . فعن أسلوب
 التخاطب يقول ﷺ : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضي
 ربك ، استي ربك ، وليقل سيدي . مولاي . ولا يقل أحدكم
 عبدي أمتي وليقل فتى وفتاتي وغلامي » (٣) . ثم يبين بعد ذلك

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح البخاري

يُذهِبُ العقل والرشد فيفقد الانسان ما تميز به على الحيوان فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (١) وأمر الله الذين آمنوا بالوضوء قبل الصلاة ، نظافة وطهارة وحفظاً لهم فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَرُوا﴾ (٢)

والصلاة لم تكن الركن الوحيد الذى ساهم في بناء المجتمع الاسلامي على إحترام حقوق الانسان والمحافظة عليها ، فهناك أربع أركان أخرى . منها الزكاة . والزكاة في معناها ومبناها حق لطائفة فقيرة من الناس في أموال طائفة غنية منهم . وهى وإن كانت حق الفقير تُرتب له ميزة مساعدته على مواجهة متطلبات الحياة . فهى في ذات الوقت حق على الغني جلب له ميزات عديدة . يقول الدكتور عبدالعزيز عبدالرحمن في كتابه « صور من سماحة الاسلام » يقول عن الزكاة : « فهي تحمل معني النماء والزيادة تجلب البركة إلى المال المزكى » ويقول : « وتبرز حكمة شرعية الزكاة في الاسلام في أنها طهرة للنفس من البخل ، وتحد لما يوسوس به الشيطان من الخوف من الفقر والحاجة ، وهى أيضاً طهرة للمال وللذمة بأداء ما تعلق بها من حقوق ، وما لزمها من واجبات » .

(١) سورة النساء ، آية رقم ٤٣ .

(٢) سورة المائدة ، آية رقم ٦ .

تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض
 وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
 يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . « بحسب
 امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام
 دمه وماله وعرضه » (١) . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
 ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه
 أنا . قال « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن
 أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن عاد منكم
 اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر أنا . فقال ﷺ : « ما اجتمعنا لامرئ
 الا دخل الجنة . » (٢)

الحقوق بين الخادم وسيده :

لقد نال الخادم في ظل الاسلام حقوق لم تعرف من قبل . وقد
 شملت هذه الحقوق الكثير الكثير فمن أسلوب المناداة أو التخاطب
 مع الخادم إلى اطعام الخادم واللباسه مما يطعم ويلبس سيده . إلى
 معاونة السيد لخادمه فيما يسنده إليه من أعمال . فعن أسلوب
 التخاطب يقول ﷺ : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضي
 ربك ، استي ربك ، وليقل سيدي . مولاي . ولا يقل أحدكم
 عبدي أمتي وليقل فتى وفتاتي وغلامي » (٣) . ثم يبين بعد ذلك

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح البخاري

رمضان ، وهو ركن من أركان الاسلام أيضاً . والصيام فيه ما فيه من تهيئة نفس الانسان لحفظ حقوق الآخرين وعدم الاعتداء عليها . فهو يضع نفس الغني في حالة الفقير عندما يجوع ويعطش . ويضعه في تجربة نفسية وبدنية كاملة ومتكررة على مدى شهر من كل سنة . وهذه التجربة لا بد وأنها ستترك الأثر المطلوب في نفوس وقلوب المسلمين الأغنياء وتجعلهم أكثر حرصاً على الفقراء وعلى أداء حقوقهم ومساعدتهم . وفي صيام شهر رمضان الكثير أيضاً من الفوائد للفقير . فشهر رمضان هو من الوسائل المادية التي استخدمتها الشريعة الاسلامية لابلأغ الأغنياء بحال الفقراء دون مساهمة أو قصد من الفقراء ، ومن الفوائد الانسانية الأخرى لشهر رمضان أنه يشعر الفقراء بمساواة الشريعة الاسلامية لهم مع الأغنياء . وتبين أن الحرمان من الطعام والشراب ليس مرتبطاً بالفقر وحده وإنما مرتبط بالعبادة أيضاً . والصوم فوق كل ذلك خير ورحمة للفقير والغني على حد سواء ، فهو يخرجهم من إلف العادة مع شهواتهم ، ويرقق قلوبهم ، ويساعد على صحة الأبدان ، وتقوية الايمان والشعور بنعم الله التي لا تحصى . ولا شك أنه لا تخفي على ذي بصيرة ما تؤدي إليه كل هذه الانعكاسات والفوائد لهذا الشهر العظيم من حماية لحقوق الانسان ورفع لمكاتها واحترامها بين المسلمين .

والحج وهو الركن الخامس من الاسلام ، وقد فرضه الله على المستطيع مرة واحدة في العمر . وفي الحج يجتمع المسلمين من مشارق الأرض مغاربها مرة كل عام ، يتدارسون فيه دينهم ،

حكمهم فقط . إنما العدل مأمور به حتي مع العدو أو الخصم فيقول رب العالمين : ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط . ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾^(١) .

وتتوالى أوامر رب العزة بعد ذلك لتشمل كل ما يهم الانسان ويساعد على حفظ حقوقه . فأمر سبحانه بتأدية الأمانات فقال : ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾^(٢) وأمر بالوفاء بالعقود فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾^(٣) وأمر بعدم أكل الربا فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة﴾^(٤) وأمر بعدم أكل المال بالباطل فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾^(٥) وأمر بالانفاق من الطيبات فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذية إلا أن تغمضوا فيه﴾^(٦) . ويأمرنا بما لا يبطل صدقاتنا فيقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾^(٧) .

ويأمرنا بالكثير والكثير مما لا يتسع المجال بعد لذكر الآيات الدالة عليه فيأمر سبحانه بأن لا ندخل بيوتاً غير بيوتنا حتي نستأذن

-
- | | |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة المائدة ، آية رقم ٨ . | (٢) سورة النساء ، آية رقم ٥٨ . |
| (٣) سورة المائدة ، آية رقم ١ . | (٤) سورة آل عمران ، آية رقم ١٣٠ . |
| (٥) سورة النساء ، آية رقم ٢٩ . | (٦) سورة البقرة ، آية رقم ٢٦٧ . |
| (٧) سورة البقرة ، آية رقم ٢٦٤ . | |

ونسلم على أهلها . ويأمرنا بعدم السخرية من الآخرين وبعدم التنابر بالألقاب . ويأمرنا باجتنب الظن وبعدم التجسس ، ويأمرنا بأن لا يغتاب بعضنا بعض ويأمرنا بأن لا نتناجى بالاثم والعدوان وإنما نتناجى بالبر والتقوى ، ويأمرنا سبحانه بأن نأكل مما في الأرض حلالاً طيباً ، ويأمرنا بأن نأكل من طيبات ما رزقنا ، وأن لا نحرم طيبات ما أحل لنا ، ويأمرنا سبحانه أن نكتب الدين إذا تداينا ، وأن نشهد على ذلك ، ويأمرنا أن نتبين الحق إذا جاءنا فاسق بنياً حتي لا نجعل على أحد ونصبح بعد ذلك نادمين ، ومن أعظم وأكمل الأوامر التي تصون الحقوق وتعمل على عدم الاعتداء عليها ما أمر الله به نبيه ﷺ في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنْ أَلَّاهُ خَيْرٌ مِمَّا يَصْنَعُونَ ، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ إِيمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلَ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ

(١) سورة الاحزاب . آية رقم ٥٩ .

زيتن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴿١﴾

هذه آيات من عند الله الخبير بما نصنع ، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، خلق الانسان ويعلم ما توسوس به نفسه ، يعلم أن النساء فتنة ، وأن الشهوة المتبادلة بين الرجال والنساء لا يمكن تركها دون تهذيب وتنقية ، لا بد من أبواب حراسة على حقوق المسلمين . لا يترك الرجل امرأته أو ابنته أو أخته تتبرج ، ويدعى أنه لم يعتدى على حقوق الغير ، ولا يترك الرجل نفسه تشتهى نساء الآخرين ، وينظر إلى ما حرم الله عليه ، ويسرق بالنظر وغيره من الخواص حلال غيره ومتاعه ، ويدعى أنه لم يؤذى أحد . لقد أمر الله بستر العورات ، وغض البصر وحفظ الفرج وعدم إبداء الزينة إلا لمن نص عليهم وحددهم على سبيل الحصر . ولا يمكن أن تصان الحقوق إلا إذا اتبعنا هذه الأوامر الالهية بدقة وأمانة . ولا يمكن أن نضمن عدم الاعتداء على الحقوق إذا سمحنا بالاختلاط بين الرجال والنساء في الأعمال ، ولا يمكن أن ندعي المحافظة على الحقوق إذا بدلنا شرع الله وفرضنا المساواة فيما أراد الله فيه غير ذلك ، وتمردنا على الطبيعة الانسانية والفطرة التي فطرنا الله عليها . (٢) وليس أدل على ذلك من ما نراه في كثير من البلدان من انحلال وحقوق مهذرة بسبب عدم الدخول في الإسلام أو بسبب عدم الأخذ

(١) سورة النور ، آية رقم ٣١/٣٠ .

(٢) راجع الفصل العاشر من هذا الكتاب .

تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض
 وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
 يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . « بحسب
 امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام
 دمه وماله وعرضه » (١) . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
 ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه
 أنا . قال « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن
 أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن عاد منكم
 اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر أنا . فقال ﷺ : « ما اجتمعنا لامرئ
 الا دخل الجنة . » (٢)

الحقوق بين الخادم وسيده :

لقد نال الخادم في ظل الاسلام حقوق لم تعرف من قبل . وقد
 شملت هذه الحقوق الكثير الكثير فمن أسلوب المناداة أو التخاطب
 مع الخادم إلى اطعام الخادم واللباسه مما يطعم ويلبس سيده . إلى
 معاونة السيد لخادمه فيما يسنده إليه من أعمال . فعن أسلوب
 التخاطب يقول ﷺ : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضي
 ربك ، استي ربك ، وليقل سيدي . مولاي . ولا يقل أحدكم
 عبدى أمتي وليقل فتاى وفتاى وغلأمى » (٣) . ثم يبين بعد ذلك

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح البخاري

احصاء بذلك أو بيعه لبلغ حداً هائلاً نجد كل نصح بازائه صغيراً»^(١). وينهانا الرسول ﷺ عن الكثير من الأمور المفسدة للطباع ، والمشيئة للانسان والمنسبة في ضياع الحقوق فيقول : « لا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تحسبوا ، ولا تنافسوا ولا تجسبوا ، ولا تقاطعوا ولا تناجشوا ، ولا تهاجروا ، ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض »^(٢) ويقول أيضاً : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره »^(٣) ويقول : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وعرضه ، وماله »^(٤) ويقول : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث »^(٥).

وتتوالى الآيات والأحاديث التي تبين للناس حقوقهم وتبين لهم ما يساعدهم على صيانتها وعدم الاعتداء عليها . فيأمر عز وجل بالصدقات ويبين لمن يستحق وكيف تخرجها ويأمر بالتقوى ، ويأمر بالوفاء بالكيل والميزان فيقول : ﴿واوفوا الكيل إذا كنتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾^(٦) وحرّم الخيانة وقال : ﴿إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾^(٧) وحرّم قول الزور وقال : ﴿واجتنبوا قول الزور﴾^(٨) ، وحرّم دخول البيوت من ظهورها وقال : ﴿وليس البرأان تأتوا البيوت

(١) الحلال والحرام في الاسلام - فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي .

(٢) (٣) ، (٤) ، (٥) صحيح البخاري ومسلم .

(٦) سورة الاسراء : آية رقم ٣٥ . (٧) سورة الحج : آية رقم ٣٨ .

(٨) سورة الحج : آية رقم ٣٠ .

ونسلم على أهلها . ويأمرنا بعدم السخرية من الآخرين وبعدم التنابر بالألقاب . ويأمرنا باجتناّب الظن وبعدم التجسس ، ويأمرنا بأن لا يغتاب بعضنا بعض ويأمرنا بأن لا نتناجى بالاثم والعدوان وإنما نتناجى بالبر والتقوى ، ويأمرنا سبحانه بأن نأكل مما في الأرض حلالاً طيباً ، ويأمرنا بأن نأكل من طيبات ما رزقنا ، وأن لا نحرم طيبات ما أحل لنا ، ويأمرنا سبحانه أن نكتب الدين إذا تداينا ، وأن نشهد على ذلك ، ويأمرنا أن نتبين الحق إذا جاءنا فاسق نبأ حتى لا نجعل على أحد ونصبح بعد ذلك نادمين ، ومن أعظم وأكمل الأوامر التي تصون الحقوق وتعمل على عدم الاعتداء عليها ما أمر الله به نبيه ﷺ في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنْ أَلَّاهُ خَيْرٌ مِمَّا يَصْنَعُونَ ، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ إِيمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلَ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ

(١) سورة الاحزاب . آية رقم ٥٩ .

الله وإيمانهم ثمناً قليلاً»^(١) ويقول : ﷺ « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا يا رسول الله وما هي ؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات »^(٢) .

وعنه ﷺ « أنه سمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال يعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال بلى ، كان أحدهما لا يستبرأ من بوله ، وكان الآخر يمشي بالنميمة »^(٣) ويحذرنا ﷺ من الظلم فيقول : « الظلم ظلمات يوم القيامة »^(٤) ويقول « اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب »^(٥) ويقول ﷺ : « من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلل منها اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه »^(٦) ويقول ﷺ أيضاً : « إنما أنا بشر وأنتم تختصمون ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذ إنما اقطع له قطعة من النار »^(٧) .

وأخيراً يقول ﷺ : يجاء برجل فيطرح في النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه فيطيف به أهل النار ويقولون أى فلان ألسنت

- | | |
|--------------------|--------------------|
| (١) صحيح البخاري . | (٢) صحيح البخاري . |
| (٣) صحيح البخاري . | (٤) صحيح البخاري . |
| (٥) صحيح البخاري . | (٦) صحيح البخاري . |
| (٧) صحيح البخاري . | |

ونسلم على أهلها . ويأمرنا بعدم السخرية من الآخرين وبعدم التنابر بالألقاب . ويأمرنا باجتنب الظن وبعدم التجسس ، ويأمرنا بأن لا يغتاب بعضنا بعض ويأمرنا بأن لا نتناجى بالاثم والعدوان وإنما نتناجى بالبر والتقوى ، ويأمرنا سبحانه بأن نأكل مما في الأرض حلالاً طيباً ، ويأمرنا بأن نأكل من طيبات ما رزقنا ، وأن لا نحرم طيبات ما أحل لنا ، ويأمرنا سبحانه أن نكتب الدين إذا تداينا ، وأن نشهد على ذلك ، ويأمرنا أن نتبين الحق إذا جاءنا فاسق بنياً حتي لا نجعل على أحد ونصبح بعد ذلك نادمين ، ومن أعظم وأكمل الأوامر التي تصون الحقوق وتعمل على عدم الاعتداء عليها ما أمر الله به نبيه ﷺ في قوله تعالى : ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدني أن يعرفن فلا يؤذين﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضرن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو أبناء بعولتهن أو أخواتهن أو بني أخواتهن أو بني أخواتهن أو نساءهن أو ما ملكت إيمانهن أو التابعين غير أولى الأربعة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضرن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من

(١) سورة الاحزاب . آية رقم ٥٩ .

الفصل العاشر

أثر محاكاة غير المسلمين في اهدار حقوق الانسان

- ١ - قضية المرأة .
- ٢ - قضية اتباع القوانين الوضعية والابتعاد عن الحدود الشرعية .
- ٣ - قضية اتباع تقاليد وعادات غير المسلمين في المجالات الاجتماعية والتعليم والاعلام .

ونسلم على أهلها . ويأمرنا بعدم السخرية من الآخرين وبعدم التنابر بالألقاب . ويأمرنا باجتنب الظن وبعدم التجسس ، ويأمرنا بأن لا يغتاب بعضنا بعض ويأمرنا بأن لا نتناجى بالاثم والعدوان وإنما نتناجى بالبر والتقوى ، ويأمرنا سبحانه بأن نأكل مما في الأرض حلالاً طيباً ، ويأمرنا بأن نأكل من طيبات ما رزقنا ، وأن لا نحرم طيبات ما أحل لنا ، ويأمرنا سبحانه أن نكتب الدين إذا تداينا ، وأن نشهد على ذلك ، ويأمرنا أن نتبين الحق إذا جاءنا فاسق بنياً حتي لا نجعل على أحد ونصبح بعد ذلك نادمين ، ومن أعظم وأكمل الأوامر التي تصون الحقوق وتعمل على عدم الاعتداء عليها ما أمر الله به نبيه ﷺ في قوله تعالى : ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدني أن يعرفن فلا يؤذين﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضرن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو إبنائهن أو إبناتهن أو نساءهن أو ما ملكت إيمانهم أو التابعين غير أولى الأربطة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضرن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من

(١) سورة الاحزاب . آية رقم ٥٩ .

أدى تطور سبل الانتقال والاتصال بين أقطار العالم إلى تسرب الكثير من العادات والتقاليد والتطورات بكافة أشكالها في عديد من المجالات وبسرعة كبيرة بين كافة أقطار العالم . ولذلك ظهر في مجال الاقتصاد ما يسمى بـ « أثر المحاكاة » وأثر المحاكاة هو النتائج الاقتصادية المترتبة على محاكاة الشعوب لبعضها في مجال السلوك الاقتصادي والعادات الاقتصادية . وقد نبه علماء الاقتصاد إلى الأخطار والمضار والنتائج السيئة المترتبة على المحاكاة في هذا المجال خاصة على إقتصاديات الدول المتخلفة في مجال الإنتاج والاستهلاك المتبعة في الدول المتقدمة لا شك أنه يشكل عبء على إقتصاديات وميزانيات الدول النامية ، ويعرقل كثير من فرص التقدم والازدهار . فالدول المتقدمة أصبحت تستخدم جميع وسائل الرفاهية المتقدمة تكنولوجيا في سائر الاحتياجات اليومية والفرد في هذه الدول قادر على إقتناء هذه الوسائل الحديثة دون أن تشكل عليه أى مخاطر أو أعباء ، ومثل هذه الأمور لا تتناسب مع أحوال الدول الآخذة في النمو . وعليه فإن شعوبها إذا إقتدت بشعوب الدول المتقدمة وحاكتهم في سلوكهم الاقتصادي فإن ذلك سوف ينعكس آثاره بشكل سيء على المجتمع في صورة

تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض
 وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
 يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . « بحسب
 امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام
 دمه وماله وعرضه » (١) . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
 ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه
 أنا . قال « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن
 أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن عاد منكم
 اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر أنا . فقال ﷺ : « ما اجتمعنا لامرئ
 الا دخل الجنة . » (٢)

الحقوق بين الخادم وسيده :

لقد نال الخادم في ظل الاسلام حقوق لم تعرف من قبل . وقد
 شملت هذه الحقوق الكثير الكثير فمن أسلوب المناداة أو التخاطب
 مع الخادم إلى اطعام الخادم واللباسه مما يطعم ويلبس سيده . إلى
 معاونة السيد لخادمه فيما يسنده إليه من أعمال . فعن أسلوب
 التخاطب يقول ﷺ : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضي
 ربك ، استي ربك ، وليقل سيدي . مولاي . ولا يقل أحدكم
 عبدي أمتي وليقل فتى وفتاتي وغلامي » (٣) . ثم يبين بعد ذلك

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح البخاري

وقضية اتباع تقاليد وعادات غير المسلمين في مجالات الأسرة
والقراية والجوار والدعاية والاعلان والتعليم والترفيه وخلافه .

أولاً : قضية المرأة :

قضية المرأة هي من القضايا المعاصرة التي نطالع الكثير عنها كل
يوم في الكتب والصحف والمجلات . يتناولها البعض بالتأييد ،
والبعض الآخر بالرفض . والرفض أو التأييد رغم أنه لأكثر من
جانب من جوانب هذه القضية ، مثل جانب مساواة المرأة
بالرجل ، وجانب تعليم المرأة ، وجانب خروجها للعمل خارج
البيت ، وجانب إختلاطها بالرجال ، وجانب التحاقها بوظائف
معينة ... إلى آخر ذلك . إلا أن أبرز هذه الجوانب التي سنتناولها
هنا هي الجوانب التي نرى أنها تؤثر مباشرة على حقوق الانسان
وتؤدي إلى المساس بها بشكل كبير وخطير . وأول جوانب قضية
المرأة هو جانب المساواة . فهو الجانب الأساسي والجوهري
والذي تفرعت عنه الكثير من الجوانب الأخرى . والمساواة
المطلقة بين المرأة والرجل هراء لا يتفق مع دين ولا عقل ولا
منطق . لأن المساواة التامة بين شيئين تقتضي التماثل التام والتطابق
بينهما . وطالما أن هناك فروق بينة وواضحة وثابتة إلى أبد الأبد بين
بين المرأة والرجل لذلك فلا يمكن بحال من الأحوال قبول دعوى
المساواة الكاملة وإلا فان الأمر لا يعدو أننا نقر الباطل ، ونؤيد
ظلماً وقع على كل من المرأة والرجل . والمساواة أمر نسبي يجب أن
يتفق ويتوازى مع الفروق الطبيعية القائمة بين المرأة والرجل .

تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض
 وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
 يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . « بحسب
 امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام
 دمه وماله وعرضه » (١) . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
 ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه
 أنا . قال « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن
 أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن عاد منكم
 اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر أنا . فقال ﷺ : « ما اجتمعنا لامرئ
 الا دخل الجنة . » (٢)

الحقوق بين الخادم وسيده :

لقد نال الخادم في ظل الاسلام حقوق لم تعرف من قبل . وقد
 شملت هذه الحقوق الكثير الكثير فمن أسلوب المناداة أو التخاطب
 مع الخادم إلى اطعام الخادم واللباسه مما يطعم ويلبس سيده . إلى
 معاونة السيد لخادمه فيما يسنده إليه من أعمال . فعن أسلوب
 التخاطب يقول ﷺ : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضي
 ربك ، استي ربك ، وليقل سيدي . مولاي . ولا يقل أحدكم
 عبدي أمتي وليقل فتى وفتاتي وغلامي » (٣) . ثم يبين بعد ذلك

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح البخاري

تبصرون ﴿١﴾ قاله سبحانه جعل في أنفسنا ما يدلنا على وحدانيته وجعل في نظام الكون وأعمار الأرض ما يدلنا على ذلك أيضاً . وقد خلق الله الذكر والأنثى وجعل لكل منهما تركيباً متشابهاً من الأعضاء وجعل لكل منهما في نفس الوقت قدرات وإمكانات وصفات مختلفة ومتميزة . وعلى أساس هذا الاختلاف والتمايز جعل الله للرجال على النساء درجة ، وجعل الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض . ولم تكن هذه الدرجة وهذا التفضل إلا لتحقيق مشيئة الله في أعمار الكون لأن هذا التفضيل هو السبيل لأن يكون للأسرة رب واحد ، وعائل واحد ، وقائد واحد لأنه لو تساوى الرجال والنساء في قدراتهم وإمكاناتهم وصفاتهم وتركيبهم الجسدي والنفسي والعاطفي لتنازعا قيادة الأسرة واذن لفسدت الأسرة وفسدت الأرض ، فعدم المساواة المطلقة بين الذكر والأنثى شيء أرادته الله حتى تستقيم الحياة . وعلى قدر ابتعادنا عن حكمة الله من هذه المساواة على قدر ما ينتشر في الأسرة والمجتمع من فساد .

وإذا تأملنا آيات الله من حولنا فلن نجد ما يخالف ذلك أبداً ، فعن حيوانات التي سخرها الله للإنسان لم تشذ عن تسليم القيادة للذكر ، فالذكر هو رب الأسرة في مملكة الحيوان والمدافع عنها ، والأنثى هي القائمة على رعاية الصغار .

وأمر إنتهاء القيادة إلى شخص واحد لا يقتصر على الأسرة ،

(١) سورة الذاريات . آية رقم ٢١/٢٠ .

تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض
 وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
 يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . « بحسب
 امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام
 دمه وماله وعرضه » (١) . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
 ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه
 أنا . قال « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن
 أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن عاد منكم
 اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر أنا . فقال ﷺ : « ما اجتمعنا لامرئ
 الا دخل الجنة . » (٢)

الحقوق بين الخادم وسيده :

لقد نال الخادم في ظل الاسلام حقوق لم تعرف من قبل . وقد
 شملت هذه الحقوق الكثير الكثير فمن أسلوب المناداة أو التخاطب
 مع الخادم إلى اطعام الخادم واللباسه مما يطعم ويلبس سيده . إلى
 معاونة السيد لخادمه فيما يسنده إليه من أعمال . فعن أسلوب
 التخاطب يقول ﷺ : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضي
 ربك ، استي ربك ، وليقل سيدي . مولاي . ولا يقل أحدكم
 عبدي أمتي وليقل فتاى وفتاى وغلامي » (٣) . ثم يبين بعد ذلك

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح البخاري

الفروق التي جعلته صالحاً ومؤهلاً للقيادة والرعاية والانفاق على الأسرة بشكل قاطع لا يستطيع هو أن ينفك منه أو يستند إلى غيره ، ولا يستطيع أن يسلبه منه أحد .

إذن فالفرق بين المرأة والرجل لا شك فيها وهناك وظائف أسرية متعددة تحتاج إلى من يقوم بها . وعلى هذا الأساس فلا بد من توزيع هذه الوظائف بين المرأة والرجل بما يتناسب مع الامكانيات التي خص الله بها كل منهما . أو كما يقول علماء الإدارة لا بد من اختيار الشخص المناسب للوظيفة المناسبة فالوظائف الأسرية من السهل تحديدها . والرجل والمرأة قد عرفت مؤهلات كل منهما منذ قرون طويلة . عليه فلم يبق إلا شغل الوظائف بما يتفق مع متطلبات الوظيفة وإمكانيات كل موظف ، فإذا قسمنا الوظائف المتعلقة بالأسرة إلى قسمين : القسم الأول وظائف خارج البيت والقسم الثاني وظائف داخل البيت . فإن هناك عدد من الأسئلة يحتاج إلى إجابة صريحة وأمينة . السؤال الأول هو : على ضوء ما نعرفه عن المرأة والرجل . أيهما أنسب للوظائف خارج البيت وأيها أنسب للوظائف داخل البيت ؟ وإذا توصلنا إلى إجابة على هذا السؤال وأظهرنا سهولة ومنطقية . فلا شك أن الرجل أنسب للوظائف خارج البيت ، والمرأة أنسب للوظائف داخل البيت . فإن السؤال الثاني هو : هل قصّر الرجل أو المرأة في الوظائف التي أسندت لكل منهما ؟ هل لم يستطع الرجل أن يعمل ويكسب وينفق على الأسرة ويوفر لها الحياة ؟ هل لم تستطع المرأة أن تربي الأطفال وتهتم بشئون المنزل وشئون زوجها ؟ فإذا

كانت الاجابة أن كل من المرأة والرجل قد استطاعا أن يؤديا وظائفهما بنجاح ؟ فان السؤال الثالث هو :

هل هناك من يرى أنه من المناسب تبديل الوظائف بين المرأة والرجل لتحقيق أداء أفضل ؟ وهل هناك من يستطيع أن يجزم بأن اسناد بعض وظائف المرأة للرجل أو اسناد بعض وظائف الرجل للمرأة لن يؤثر على وظائف كل منهما الأساسية ؟ فاذا كان كل منهما قائم بوظائفه على أكمل وجه دون تقصير ، وإذا لم يكن أحدهما يستطيع أن يؤدي وظائف الآخر بصورة أفضل ، وإذا لم يكن في إستطاعة أى منهما أن يقوم ببعض وظائف الآخر بالاضافة إلى وظائفه دون أن يؤثر ذلك على وظائفه الأساسية تأثيراً سيئاً .

إذا كانت هذه هي الاجابات البديهية على الأسئلة السابقة ، فما هي المشكلة ؟ ومن الذي أنشأها ؟ ولماذا لم يتفرغ كل من الرجل والمرأة إلى ما يناسبه من وظائف ؟ ولماذا أراد المفسدون في الأرض أن يقبلوا الأوضاع ويبدلوا سنة الله ؟ وما الفائدة التي ستعود على الأسرة إذا أهملت المرأة وظائف البيت وتحملت عبء الوظائف خارج البيت رغم أن الرجل لم يعف منها بعد ؟

إن المرأة لم تؤهل للمهام الرجل إنما تأهلت للمهام أخرى قد تكون أعظم وأجل شأنًا فاذا أخذنا مهمة تربية الأطفال مثلاً وهي من المهام الرئيسية للمرأة لوجدنا أنها أرقى وأسمى وظائف الأسرة . وقد خص الله بها المرأة تكريماً لها وتشريفاً . فالله سبحانه وتعالى عندما خلق آدم ونفخ فيه من روحه أراد أن يكرمه فلم يجد خيراً من الملائكة سبيلاً لذلك . فأمرهم بالسجود له ، وكان

سجودهم رمزاً لما سيقومون به من خدمات لبني آدم بعد أن يهبط آدم إلى الأرض . فمنهم من سخره الله للاستغفار لبني آدم والدعاء بالرحمة لهم ، ومنهم من يتنزل عليهم ليذهب خوفهم وحزنهم ، ومنهم من يتنزل ليقاتل معهم ، ومنهم من يتنزل بوحي الله وتشريعه ... إلى آخر ذلك من مهام الخير والرحمة وإستمراراً لهذا التكريم لبني آدم ، أراد الله تكريم ذرية آدم في المهد ، أراد تكريم الطفولة فلم يجد لها خيراً من المرأة « الأم » وليس « الأب » ليخصها بهذه المهمة وهيئها سبحانه لذلك من كافة الوجوه فزرع في قلبها الحنان والرحمة اللازمين ، وجعل من جسدها وعاء وغذاء لأطفالها . فما أعظمها من تكريم وما أعظمها من مهمة لا تصلح لها إلا الأم « التي تحمل - وتلد » . فلا يصلح لهذه المهمة كما أرادها الله الرجل ، ولا تصلح لها أى امرأة أخرى غير الأم فلا الشغالة ولا الدادة ولا المريية تستطيع أن تعطي الطفل الحنان والحب والعطف الذي تعطيه الأم لولدها . فمالنا نرفض هذا التكريم الالهي ونحاول أن نفقد أنفسنا الخير الذي أراده الله لنا .

والآن إذا خلصنا إلى أن المساواة التي يريدها البعض بين المرأة والرجل في هذا العصر مساواة غير مفيدة للأسرة ، لأنها لا تستند إلى الفروق الطبيعية التي جعلها الله أساساً لقوامه الرجل . وإذا خلصنا إلى أن لكل من الرجل والمرأة مهمته ووظيفته في الأسرة وليس لأى منهما إمكانيات تتناسب مع وظائف الآخر . إذا خلصنا إلى كل ذلك كان الحكم في كل الجوانب الأخرى من قضية المرأة حكماً سهلاً وواضحاً ، والوصول إليه أمراً ميسوراً .

ونسلم على أهلها . ويأمرنا بعدم السخرية من الآخرين وبعدم التنابر بالألقاب . ويأمرنا باجتنب الظن وبعدم التجسس ، ويأمرنا بأن لا يغتاب بعضنا بعض ويأمرنا بأن لا نتناجى بالاثم والعدوان وإنما نتناجى بالبر والتقوى ، ويأمرنا سبحانه بأن نأكل مما في الأرض حلالاً طيباً ، ويأمرنا بأن نأكل من طيبات ما رزقنا ، وأن لا نحرم طيبات ما أحل لنا ، ويأمرنا سبحانه أن نكتب الدين إذا تداينا ، وأن نشهد على ذلك ، ويأمرنا أن نتبين الحق إذا جاءنا فاسق بنياً حتي لا نجعل على أحد ونصبح بعد ذلك نادمين ، ومن أعظم وأكمل الأوامر التي تصون الحقوق وتعمل على عدم الاعتداء عليها ما أمر الله به نبيه ﷺ في قوله تعالى : ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدني أن يعرفن فلا يؤذين﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضرن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو إبنائهن أو إبناتهن أو نساءهن أو ما ملكت إيمانهم أو التابعين غير أولى الأربعة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضرن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من

(١) سورة الاحزاب . آية رقم ٥٩ .

البحث عمن تسند إليهم . إنه بتفكير بسيط نستطيع أن نصل إلى أن الأولى بالعمل خارج البيت هو الرجل . فليس هناك رجل الا وعنده من يعوله كالزوجة والأولاد ، وإن لم يكن فهو يعول نفسه . أما المرأة فلا بد أن هناك من يعولها ويحافظ عليها ويوفر لها المعيشة المناسبة ، إنه الرجل أياً كان وضعه بالنسبة لها الوالد أو الأخ أو الزوج أو الابن أو على الأقل أحد من أقاربها أو ربما أحد جيرانها . لذلك فليس من العدل أو المنطق أن تترك المرأة وظيفتها في البيت شاغرة وتبحث عن من يشغلها لها ، وفي نفس الوقت تخرج هي لتراحم الرجل وظيفته وتتركه عاطلاً يضطر إلى سلوك طريق غقر شريف من إعالة من يعول . إن عمل يعفيه من المسألة والاتخاف وبقى المجتمع من أجبرته الحاجة إلى المعصية ، وهذا في عرف الاقتصاديين «منفعة» .

إن الشرور التي تأتي من وراء خروج المرأة خارج البيت لا تقتصر على ذلك إنما تمتد إلى أضعاف المجتمع إقتصادياً وإجتماعياً وتقوده إلى الانحلال ، لأن المرأة عندما تخرج أو تهمل أو تقصر في وظيفة تربية أطفالها بحكم إنشغالها أو إرهاقها من الوظيفة الأخرى . ولا يشفع للأم في ترك تربية أطفالها أن هناك دور حضانة أو روضة أو مدرسة أو مؤسسة أخرى تقوم بهذه المهمة لأن كل البحوث والدراسات العلمية الحديثة أثبتت أن الأطفال الذين لا تتولى أمهاتهم مهمة تربيتهم يحرمون من الحنان وينشأون بمشاكل نفسية عميقة ويصابون بانحرافات في سلوكهم عندما يكبرون .

تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض
 وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
 يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . « بحسب
 امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام
 دمه وماله وعرضه » (١) . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
 ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه
 أنا . قال « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن
 أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن عاد منكم
 اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر أنا . فقال ﷺ : « ما اجتمعنا لامرئ
 الا دخل الجنة . » (٢)

الحقوق بين الخادم وسيده :

لقد نال الخادم في ظل الاسلام حقوق لم تعرف من قبل . وقد
 شملت هذه الحقوق الكثير الكثير فمن أسلوب المناداة أو التخاطب
 مع الخادم إلى اطعام الخادم واللباسه مما يطعم ويلبس سيده . إلى
 معاونة السيد لخادمه فيما يسنده إليه من أعمال . فعن أسلوب
 التخاطب يقول ﷺ : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضي
 ربك ، استي ربك ، وليقل سيدي . مولاي . ولا يقل أحدكم
 عبدي أمتي وليقل فتى وفتاتي وغلامي » (٣) . ثم يبين بعد ذلك

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح البخاري

وميو له . وهذه قواعد فطرية طبيعية لم تتغير من يوم خلق الله الانسان ولن تتغير حتي تقوم الساعة . »

« فتبرج المرأة ضرر جسيم ، وخطر عظيم ، يخرب الديار ، ويحلب الخزى والعار . فكم دعا إلى العداوة والبغضاء بين الأخت وأختها والأخ وأخيه ، وكم فصل الزوج من زوجته ، وحرمة بناته وبنيه وكم خيب الآمال ، وحسر قلوب النساء والرجال ، ودعا إلى الحرام وترك الحلال . »

والخلاصة في قضية المرأة أن فرض المساواة بينهما ، وخروج المرأة سافرة متبرجة للعمل خارج بيتها والاختلاط بالرجال إنما هو شر إنتقل إلى المسلمين من غيرهم في ثوب مضلل ومفسد هو ثوب المدنية والحضارة ، ولا هي مدنية ولا هي حضارة ، إنما هي مفسدة ومضرة أدت دون شك إلى ضياع حقوق الانسان ومهدت الطريق لاهدارها والقضاء على البقية الباقية منها . إن طلب المساواة بين الرجل والمرأة بعيداً عن الفطرة وما أمر به الله ضيع حق الرجل في المحافظة على زوجته وأسرته وتسبب في شجار دائم بينهما . وأن خروج المرأة للعمل خارج بيتها ضيع حقوق الزوج والأطفال . وأن سفورها واختلاطها بالرجال مهد السبيل للاعتداء على حقوقها في المحافظة على عفافها وشرفها وبالتالي شرف زوجها وعرضه ، وأغرى الآخرين بها وبمعصية الله . فلا يحق لنا أن ننكر دور الشيطان في الايقاع بين المرأة والرجل مستغلاً غريزة كل منهما وميله للآخر .

أليس في ذلك كله ضياع لحقوق الانسان ؟ وهل هناك حد

تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض
 وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
 يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . « بحسب
 امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام
 دمه وماله وعرضه » (١) . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
 ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه
 أنا . قال « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن
 أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن عاد منكم
 اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر أنا . فقال ﷺ : « ما اجتمعنا لامرئ
 الا دخل الجنة . » (٢)

الحقوق بين الخادم وسيده :

لقد نال الخادم في ظل الاسلام حقوق لم تعرف من قبل . وقد
 شملت هذه الحقوق الكثير الكثير فمن أسلوب المناداة أو التخاطب
 مع الخادم إلى اطعام الخادم واللباسه مما يطعم ويلبس سيده . إلى
 معاونة السيد لخادمه فيما يسنده إليه من أعمال . فعن أسلوب
 التخاطب يقول ﷺ : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضي
 ربك ، استي ربك ، وليقل سيدي . مولاي . ولا يقل أحدكم
 عبدي أمتي وليقل فتاى وفتاى وغلامي » (٣) . ثم يبين بعد ذلك

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح البخاري

التي تحمي حقوق المسلمين لا خيار فيها لأحد ولا شفاعة فيها لأحد . وعلينا أن نتعظ بما بينه لنا الرسول ﷺ من أن الأمم التي سبقتنا هلكت لتفريقها في إقامة الحد بين الشريف والضعيف ، فكانوا يقيمون الحد على الضعيف ويلتمسوا العذر للشريف . فما كان ذلك الا من غضب الله عليهم . فيجب أن نحكم بيننا كتاب الله ولا نتعد حدوده ونطبق ما أمرنا به ، ونستجيب للرسول الذي دعانا لما يحنأ وصدق الله العظيم الذي يقول : ﴿ولكم في القصص حياة يا أولى الأبواب لعلمكم تنقون﴾^(١) .

إن القوانين الموضوعة بمعرفة البشر وما بها من عقوبات لا يمكن أن تقارن بما جاء من عند الله . فالكمال والعصمة لله وحده . وما يضعه بشر يتسم بخصائص من نسيان أو غفلة ، وبما يتحكم فيهم من أهواء ومصالح . وأن من أبواب الشر أن نأخذ بكل ما نرى عليه أعدائنا دون وعي أو تفكير ، ودون بحث وتمحيص ، لنعرف هل يتفق مع ديننا أم لا ؟ إننا نفع في كل يوم في شباك وشارك جديدة من شركاء جديدة من شراء أعداء الاسلام تنصب لنا وتزين ، وندخل فيها راضين . إن من يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه وأهله وقومه ، ولا عليه الا أن ينتظر العذاب الأليم .

والحدود في الاسلام ليست قاسية كما يرى البعض أو يدعى . إن القسوة يجب أن تقارن بقسوة الجرم الذي وقع على حق الانسان في عرضه أو ماله أو نفسه . أو بالقسوة التي تنتهك بها

(١) سورة البقرة : آية رقم ١٧٩ .

تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض
 وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
 يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . « بحسب
 امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام
 دمه وماله وعرضه » (١) . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
 ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه
 أنا . قال « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن
 أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن عاد منكم
 اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر أنا . فقال ﷺ : « ما اجتمعنا لامرئ
 الا دخل الجنة . » (٢)

الحقوق بين الخادم وسيده :

لقد نال الخادم في ظل الاسلام حقوق لم تعرف من قبل . وقد
 شملت هذه الحقوق الكثير الكثير فمن أسلوب المناداة أو التخاطب
 مع الخادم إلى اطعام الخادم واللباسه مما يطعم ويلبس سيده . إلى
 معاونة السيد لخادمه فيما يسنده إليه من أعمال . فعن أسلوب
 التخاطب يقول ﷺ : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضي
 ربك ، استي ربك ، وليقل سيدي . مولاي . ولا يقل أحدكم
 عبدي أمتي وليقل فتى وفتاتي وغلامي » (٣) . ثم يبين بعد ذلك

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح البخاري

يساعدونه على تحمل مصيبته ويشاركونه في تحملها . لقد كانت التشريعات القرآنية والتوجيهات النبوية هي المرشد في كل ذلك . والمجتمع المسلم مجتمع نظيف نقي طاهر . لا يدعوا فيه المسلم الا بالمعروف ولا ينهى إلا عن منكر مجتمع حرمت فيه الجرائم ، وطبقت فيه الحدود ، وشاع فيه الأمن والطمأنينة ونبع فيه المسلمون في علوم دينهم وديناهم ، ودنت لهم الدنيا ، وفتحت لهم البلاد وانتشر الاسلام . وعاش المسلمون في ظل هذا المجتمع كنموذج للحياة التي أرادها الله لخليفته في الأرض .

ولكن عندما بدأ المسلمون في التخلي عن هذه التشريعات والتوجيهات بدأ الاسلام في الابتعاد عنهم ، فانتشر الظلم والحق ، وتعددت الجرائم ، وضعف الايمان .

وعندما بدأ المسلمون في محاكاة غيرهم في عاداتهم وتقاليدهم وتعليمهم بدأ يدب في أوصالهم الضعف ، وانتشر الزنا والربا والسرقة . وتقطعت صلات الأرحام . واختلطت الأنساب . ولم تعد هناك الألفة والمحبة ، ولم يعد هناك حق للجار يحترم أو يؤخذ به ، وعمت الفوضى والنهب والاعتصاب وانتشر الحسد وخيانة الأمانة والرشوة . وضعف المسلمون في علوم دينهم وديناهم . ولم يعد هناك من يأمر بالمعروف ويفعله ، ولم يعد هناك من يهتم بالنهي عن المنكر ولا يرتكبه . فانتشرت المشاكل والمفاسد ودب الانحلال وهان المسلمون على غيرهم لما هانوا على أنفسهم ، فاستعمرت بلادهم وأصبحوا تابعين ، وأخضع الله أعناقهم لعدوهم الذي لا يخاف الله فيهم لعلهم يعتبروا ويثوبوا إلى

تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض
 وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
 يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . « بحسب
 امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام
 دمه وماله وعرضه » (١) . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
 ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه
 أنا . قال « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن
 أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن عاد منكم
 اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر أنا . فقال ﷺ : « ما اجتمعنا لامرئ
 الا دخل الجنة . » (٢)

الحقوق بين الخادم وسيده :

لقد نال الخادم في ظل الاسلام حقوق لم تعرف من قبل . وقد
 شملت هذه الحقوق الكثير الكثير فمن أسلوب المناداة أو التخاطب
 مع الخادم إلى اطعام الخادم واللباسه مما يطعم ويلبس سيده . إلى
 معاونة السيد لخادمه فيما يسنده إليه من أعمال . فعن أسلوب
 التخاطب يقول ﷺ : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضي
 ربك ، استي ربك ، وليقل سيدي . مولاي . ولا يقل أحدكم
 عبدي أمتي وليقل فتاى وفتاى وغلامي » (٣) . ثم يبين بعد ذلك

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح البخاري

المراجع

- القرآن الكريم .
- صحيح الامام البخاري .
- صحيح الامام مسلم ، مطبوعات إدارات البحوث/ ١٤٠٠ .
- رياض الصالحين للامام النووي ، مؤسسة مناهل العرفان - بيروت .
- مقارنة الأديان للدكتور أحمد شليبي ، مكتبة النهضة - القاهرة ١٩٧٩ .
- الأخلاق الاسلامية للأستاذ عبدالرحمن حبنكة ، دار القلم/دمشق ١٣٩٩ .
- المذاهب المعاصرة للدكتور عبدالرحمن عميرة ، دار اللواء - الرياض ١٣٩٩ .
- أركان حقوق الانسان في الاسلام للدكتور صبحي المحمصاني ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٩ .
- غذاء الألباب للشيخ محمد السفاريني ، مطبعة الحكومة بمكة - ١٣٩٣ .
- الحدود في الاسلام للأستاذ عبدالكريم الخطيب ، دار اللواء - الرياض ١٤٠٠ .
- الجرائم والعقوبات في الشريعة الاسلامية للأستاذ توفيق علي وهبه ، دار عكاظ ، جدة ١٤٠٠ .
- حد الزني في الشريعة الاسلامية للدكتور محمد رشيد قباني ، من مطبوعات رابطة العالم الاسلامي .
- حد السرقة في الشريعة الاسلامية للشيخ محمد عبدالله بن السبيل ، من مطبوعات رابطة العالم الاسلامي .

تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض
 وكونوا عباد الله اخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا
 يحقره التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . « بحسب
 امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام
 دمه وماله وعرضه » (١) . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
 ﷺ : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ » قال أبو بكر رضي الله عنه
 أنا . قال « فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن
 أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ » قال أبو بكر أنا . قال « فمن عاد منكم
 اليوم مريضاً ؟ » قال أبو بكر أنا . فقال ﷺ : « ما اجتمعنا لامرئ
 الا دخل الجنة . » (٢)

الحقوق بين الخادم وسيده :

لقد نال الخادم في ظل الاسلام حقوق لم تعرف من قبل . وقد
 شملت هذه الحقوق الكثير الكثير فمن أسلوب المناداة أو التخاطب
 مع الخادم إلى اطعام الخادم واللباسه مما يطعم ويلبس سيده . إلى
 معاونة السيد لخادمه فيما يسنده إليه من أعمال . فعن أسلوب
 التخاطب يقول ﷺ : « لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضي
 ربك ، استي ربك ، وليقل سيدي . مولاي . ولا يقل أحدكم
 عبدي أمتي وليقل فتاى وفتاى وغلami » (٣) . ثم يبين بعد ذلك

(١) صحيح مسلم

(٢) صحيح مسلم

(٣) صحيح البخاري

مُطْبَعَةُ رَابِطَةِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ بِمَكَّةِ الْمُكَرَّمَةِ

